إذا كانت الحروب تتولد في عقول البشر
ففي عقولهم يجب أن تبنى حصون السلام

الموكب

ثقافي
28-29
2001

الثمن 200 أوقية

مجلة ثقافية دورية خمسية تصدر عن المحظرة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم

اخبار المنظمات

- رئيس الجمهورية السيد معاوية ولد سيدأحمد الطايع يتسلم الدرع الذهبي للآكسو من مديرها العام د. المذجي بوسنينه
- نداء من الآيسيسكو الى العالم الإسلامي

المحـــــور الثقـــــافـــــي

الأدب الموريتاني الحديث واختلاف التاريخ للحادثة

العلامة سيدي عبد الله ولد الحاج

المحور العلمي

النظرية الشمولية ونشاة التحليل المنظومي (المقاربة المنظومية)

المحور التربوي:

آثار التشويق في الدرس التربوي

المدير الناشر: اعلي ولد ببوط

لموكب الثقافي

لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر ففي عقولهم يجب أن تبنى حصون السلام

الموكب الثقافي

العدد: 28-29

مجلة ثقافية تربوية علمية تصدر عن اللجنة الوطنية الموريتانية للتربية والثقافة والعلوم

المدير الناشر:
الأستاذ أعلي ولد بيوط
رئيس التحرير:
محمد الأمين ولد المنير
المدير الفني:
محمد ولد محمدن بن احظانا
المدر المنتدب للقسم الفرنسي:
امبارك ولد بيروك
يساعده:
أحمد ولد الشيخ
سكرتير التحرير:
أحمد جدو ولد محمد
مصلحة المتابعة والاشتراكات:
المسؤول: سليمان ولد محمد بونا
محمد ولد اعمر ابـــــال
عبد الرحمن ولد محمد الحافظ
المحررون:
أحمدو ولد سيدينا!
مريم بنت بكـــر
محمد ولد محمد فال
محمد الأمين ولد المنيـــر
محمد, م, ولد احظانا
احمد جدو ولد محمد

طبع وإخـــراج: اللجنـــة الـــوطنيـــــة
سحب: المطبـــعـــــة الوطنية
انواكشوط IMP. NATIONALE

لقد اختارت بلادنا أن تسير على طريق التحديث فأصبحت عبارات: انترنيت - والتقنيات الجديدة - والألفية الثالثة، بمثابة مفاتيح الخطاب السياسي. ولكن ولوج القرن الجديد بخطى ثابتة، يقتضي منا أولا، أن نقضي على ادران التخلف التي تتلخص في عبارة واحدة هي: الجهل.

لذلك فقد انطلقت حملة واسعة تهدف إلى تحصيل العلم وتشجيع امتلاك التقنيات الجديدة. ومن أبرز الخطوات في هذا المجال إنشاء "صندوق لدعم الكتاب" يسعى إلى تمكين جميع المواطنين من المطالعة وامتلاك ناصية العلم والمعرفة.

إن كل هذه الجْهود تصب في نفس الاتجاه الذي تأسست عليه مبادئ اليونسكو والآلكسو والايسيسكو والوكالة الحكوماتية الفرانكفونية، هذه الهيئات التي تمثل شركائنا الأساسيين الذين تتجه اهتماماتهم الأساسية نحو الثقافة والمعرفة والانسان.

وليس غريبا إذن ان تمنح الأليكسو لرئيس الجمهورية، السيد معاوية ولد سيد أحمد الطايع (الدرع الذهبي) وهو أعلى تقدير تمنحه المنظمة تقديرا للجهد الذي يبذله سيادة الرئيس في سبيل العلم والمعرفة.

ونحن في اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة نسعى إلى أن نكون في مقدمة الطليعة التي تقود المعركة ضد الجهل، لذلك فإننا لا ندخر أي جهد لنكون في الصفو الأمامية التي تخوض الحملة من أجل اكتساب العلم وامتلاك التقنيات الجديدة.

اعلي ولد ببوط

فهـــرست المـــواضيـــع

الافتتاحية	3
رئيس الجمهورية السيد معاوية ولد سيد أحمد الطايع يتسلم الدرع الذهبي للآلكسو من مديرها العام د. المنجي بوسنينه	4
"الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية"	6
نداء من الآيسيسكو إلى العالم الإسلامي	12
دورة تدريبية لفائدة المرأة الموريتانية	16
ملتقى لصالح المدارس الموريتانية المنتسبة لليونسكو في موريتانيا	17
العلامة: سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي	18
محمد محمود بن التلاميد التركزي	28
الأدب الموريتاني الحديث واختلاف التاريخ للحادثة	33
آليات المجتمع الموريتاني في التموقع وممارسة السلطة	45
الزوايا وعلاقتهم بالسلطة السياسية في مجتمع "البيظان" ما قبل الاستعمار	55
مكتبات المخطوطات في مدينة تجكجة	60
الأسس الدستورية للإدارة المحلية في موريتانيا	68
آثار التشويق في الدرس التربوي	75
النظرية الشمولية ونشأة التحليل المنظومي (المقاربة المنظومية)	87
الإعدادات الهيدرو–زراعية والزراعة المروية في موريتانيا	93

تسليم الدرع الذهبي الأكبر للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لرئيس الجمهورية السيد معاوية ولد سيد أحمد الطايع إثر زيارة معالي المدير العام للمنظمة د. المنجي بوسنينه

قام المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بزيارة عمل للجمهورية الإسلامية الموريتانية، ما بين 21 و24 مايو 2002.

وتدخل زيارة معالي المدير العام للمنظمة العربية في سياق التعاون مجالات الثقافة والتربية والعلوم.

وتكلل عمل د. المنجي بوسنينه باستقبال خصه به رئيس الدولة السيد معاوية ولد سيد أحمد الطايع، وتسلم سيادته الدرع الذهبي الأكبر للآلكسو من المدير العام، وكانت تلك شهادة ووسام شرف من أعلى

هيئة ثقافية عربية مختصة في هذه المجالات.

وتم التسليم المستحق، بناء على ما قدمه رئيس الجمهورية السيد معاوية ولد سيد أحمد الطايع من خدمة للعلوم والمعارف، وتشجيع للمهتمين بهذه الاختصاصات، والعمل على تأسيس تقاليد في التعاطي مع العصر، من خلال إشاعة روح المعرفة والعلم باستخدام جميع الطرق المؤدية لتحقيق هذا الهدف، خاصة منها محو الأمية، والتركيز على النوعية في التعليم النظامي، وتوفير الكتاب على نطاق واسع، و توزيعه في جميع أنحاء البلاد حتى يدخل إلى كل بيت، مع تشجيع مطالعته، لتصبح عادة القراءة سائدة في كل أسرة. هذا إلى جانب تنظيم جوائز للإبداع الثقافي والعلمي والدراسات الإسلامية كل سنة، من أجل حث المبدعين والباحثين على إنتاج متميز، وذلك بخلق روح المنافسة الإيجابية بينهم.

وقد أشاد د. المنجي بوسنينه بالنهضة التربوية والثقافية والعلمية التي تشهدها موريتانيا، وثمن العناية التي توليها القيادة الموريتانية وعلى رأسها السيد الرئيس معاوية ولد سيد أحمد الطايع لحفظ التراث الوطني، مع التشبث السليم بالهوية الوطنية، وتثبيت الأصالة العربية الإسلامية.

وأكد السيد د.المنجي بوسنينه أنه سيعمل بدأب على تعزيز التعاون بين موريتانيا والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في المجالات التي تهم المنظمة.

وأجرى السيد المدير العام مباحثات مع الوزراء الموريتانيين المعنيين بالقطاعات التربوية والثقافية والعلمية. وزار المؤسسات الجامعية واطلع على البنية التربوية وسير البحوث داخلها.

من المشروغات الكبرى للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم:

"الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية"

فهم الماضي من منطق وحدوي

مشروع "الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية"، هو أحد المشروعات الكبرى التي تنفذها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وهو يتكامل مع الكتاب المرجع في جغرافية وطن عربي بدون حدود في تحقيق سعي المنظمة إلى توفير مراجع علمية شاملة لتاريخ الأمة العربية وجغرافيتها، تساهم في التعريف بها وتقدم مادة علمية وموضوعية تستجيب لاحتياجات الباحث المتخصص والقارئ العام معا، في الوطن العربي وخارجه.

ويهدف "الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية إلى وضع مرجع علمي لتاريخ الأمة العربية، يحتوي على مادة علمية وفكرية، وصفية تحليلية، تعرض للأسباب وتخلص إلى النتائج بموضوعية علمية، وتشمل التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي للأمة العربية.

منظورات ثلاثة

واتفقت اللجنة العلمية للمشروع على أن تجري كتاب المرجع ضمن منظورات ثلاثة هي:

- المنطلق الوحدوي،
- الفهم الحضاري للتاريخ،
- التقيد بأسلوب البحث العلمي.

ففي المنطق الوحدوي، ينطلق العمل من الإيمان العميق بوحدة الأمة العربية عبر العصور من جهة، وفي مختلف أقطار الوطن العربي من جهة أخرى. وهذا يقتضي الكشف عن وحدة التيارات التاريخية والحضارية في

مختلف العصور وإظهار ترابط الأقطار العربية، خاصة عند تعرضها للأخطار الخارجية التي تستهدف الوطن العربي أو جزءا منه. كما يقتضي تأكيد استمرار العطاء الحضاري العربي لمسيرة الحضارة الإنسانية عبر العصور وفاعلية هذا العطاء وقيمته الإنسانية الرفيعة.

أما الفهم الحضاري للتاريخ فيهدف إلى إظهار الجانب الإنساني في تاريخ العرب، وإعطاء هذه الأمة قيمتها الحضارية بين الأمم، مما يستوجب ضغط التفاصيل السياسية والأحداث قدر الإمكان، مع التركيز على إبراز الجوانب الحضارية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية والفنية كما يقتضي هذا الفهم التخفف من إبراز أدوار الأفراد في التاريخ لإبراز دور الشعوب، والنظر إلى التطورات التاريخية على أنها تطور مجتمعات ذات روح حضارية واحدة.

الدقة والموضوعية

وأما التقيد بأسلوب البحث العلمي فمن متضمناته أن يصدر الكتاب محررا بشكل مرجعي حديث يقوم على الدقة في المعلومات والموضوعية في العرض وفصاحة العبارة ووضوح المصطلحات، مع الإفادة من الصور والجداول والخرائط والاستخدام الرشيد للرموز والاختصارات.

وسيصدر الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية، بداية من عام 2004، في سبعة مجلدات، ويجري إعداده بدعم من الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى.

المجلد الأول

سيخصص المجلد الأول للجذور والبدايات، انطلاقا من عصور ما قبل التاريخ ويتناول المجلد، بعد ذلك الوطن العربي من فجر التاريخ إلى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، مع التركيز على ظهور الكتابة وتطورها

وعلى الأرض والسكان والحضارة في مختلف مناطق الوطني العربي.

ثم ينتقل إلى الفترة المتراوحة بين نهاية القرن الرابع قبل الميلاد وظهور الإسلام محللا الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في المناطق نفسها.

ويركز هذا المجلد، إثر ذلك، على الممالك العربية من النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد إلى ظهور الإسلام، وعلى المظاهر الحضارية للعرب قبل الإسلام (أيام العرب وأسواقهم وأديانهم، الكتابة، اللغة، الأدب، العمارة، الفنون).

المجلد الثاني

ويعني المجلد الثاني بموضوع الإسلام وبناء الدولة العربية، منطلقا من وصف الأوضاع في مكة قبيل ظهور الرسالة المحمدية، ثم يستعرض السيرة النبوية، ابتداء من نشأة الرسول ووصولا إلى فتح مكة وعام الوفود، مع تحليل لأسس الدعوة وملامح المجتمع الجديد. ويلي ذلك تناول لعهد الخلفاء الراشدين، ومن خلاله تركيز على نشأة الخلافة وتوحيد الجزيرة العربية والفتوحات وتنظيم الدولة ثم أزمة الخلافة وانتقالها إلى الشام.

ويخصص باقي المجلد للدولة العربية (الأموية)، وذلك باستعراض مراحلها السياسية وفتوحاتها في المشرق والمغرب ونظمها ومؤسساتها وتحليل التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمظاهر الحضارية التي ميزت العهد الأموي.

المجلد الثالث

أما المجلد الثالث فيتناول طور الأوج والازدهار في تاريخ الأمة العربية (من القرن الثاني إلى منتصف القرن الخامس الهجريين، أي من القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر الميلاديين). وقد خصص القسم الأول للتطور السياسي في هذه المرحلة، ابتداء من ارتقاء العباسيين إلى الخلافة وانتقالا إلى تطور الخلافة العباسية

(استقدام الأتراك، البويهيون)، مع الاهتمام كذلك بالخلافة الفاطمية (من المغرب إلى مصر والشام) والخلافة الأموية في الأندلس وبقيام الكيانات المستقلة في مختلف المناطق العربية.

أما القسم الثاني فيعني بالازدهار الحضاري الذي عرفته هذه المرحلة من تاريخ الأمة العربية ويتخلله تحليل لتطور المؤسسات وللتحولات الاقتصادية والأوضاع الاجتماعية ولمظهر بناء الثقافة العربية الإسلامية.

المجلد الرابع

أما المجلد الرابع وعنوانه "الأمة العربية الضعف والتحدي فيغطي المرحلة المتراوحة بين منتصف القرن الخامس الهجري ومنتصف القرن العاشر الهجري (من القرن الحادي عشر إلى القرن السادس عشر الميلاديين). وقد وضع القسم الأول من هذا المجلس تحت عنوان: "الوطن العربي في مواجهة الأخطار الخارجية، ومن بين موضوعاته: الخلافة العباسية والسلاجقة، بلاد الشام ومصر والمواجهة مع الصليبيين، المغرب والأندلس: من قدوم بني هلال وبني سليم إلى نهاية الدولة الموحدية.

ويتناول القسم الثاني موضوع "الوطن العربي والهجمات الخارجية ويستعرض التطورات التاريخية والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في مصر والشام في عهد المماليك وفي العرق تحت السيطرة الأجنبية ثم في الجزيرة العربية والمغرب والأندلس (المواجهة مع الإسبان وخروج المسلمين) من منتصف القرن السابع الهجري إلى منتصف القرن العاشر الهجري (من منتصف القرن الثالث عشر إلى بداية القرن السادس عشر الميلاديين).

المجلد الخامس

ويتطرق المجلد الخامس إلى تاريخ الأمة العربية في العصر العثماني (من منتصف القرن العاشر الهجري / بداية القرن السادس عشر الميلادي إلى

نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ نهاية القرن الثامن عشر الميلادي)، مستعرضا أسباب الدخول العثماني إلى أقاليم الوطن العربي والأوضاع السياسية والعسكرية والإدارية في الولايات العربية التابعة للإمبراطورية العثمانية، ثم في الأقاليم العربية الأخرى.

ويلي ذلك تحليل للأحوال الاجتماعية والاقتصادية وللتطور الحضاري في الوطن العربي خلال تلك الفترة، مع توقف بخصوص هذا الموضوع الأخير عند الهوية الثقافية والتواصل الحضاري، والمؤسسات التعليمية والثقافية، والفنون بأشكالها، ولا سيما العمارة العسكرية والمدنية.

المجلد السادس

أما الغرض الرئيسي للمجلد السادس فهو التحديث والأخطار الخارجية (من بداية القرن الثالث عشر الهجري/ نهاية القرن الثامن عشر الميلادي إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري/ بداية القرن العشرين الميلادي) ويدور حول الأوضاع السياسية والإدارية والعسكرية في ظل قيام حكومات مركزية في عدد من أقطار الوطن العربي، كما يتناول الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ومحاولات التغلغل الأوربي في البلاد العربية ثم المقاومة الوطنية حتى قيام الحرب العالمية الأولى.

وينتهي هذا المجلد باستعراض تجليات الحياة الثقافية والفكرية في الفترة المعنية. مع التركيز على الاتجاهات الفكرية للتحديث (التركيز على الاتجاهات الفكرية للتحديث (الفكر القومي، الفكر العلماني، تحرير المرأة، الديمقراطية).

المجلد السابع

أما المجلد السابع والأخير فيتناول مرحلة التحرر والاستقلال والوحدة في تاريخ الأمة العربية (منذ الحرب العالمية الأولى)، مستعرضا، في البداية،/ السياسات الاستعمارية

وأساليبها وآثارها، ومتطرقا بعد ذلك إلى حركات التحرر الوطني والاستقلال في مختلف أقطار الوطن العربي.

ويهتم القسم الثاني من هذا المجلد بالوطن العربي بعد الاستقلال فيطرق موضوع العرب والوحدة من خلال الجامعة العربية وتطور العمل العربي المشترك وكذلك المشروعات والتجارب الوحدوية.

ثم يعالج قضية فلسطين والصراع العربي الصهيوني وينتهي بدرس علاقة العرب بالعالم من خلال النقاط التالية: موقع العرب من العالم، الغرب والمنظومة الدولية، دور العرب في حركة عدم الانحياز، العرب ودائرتهم الإسلامية، العرب وإفريقيا.

وتتضمن الخاتمة رؤية استشرافية تتناول بعض القضايا المعاصرة في الوطن العربي.

- الدكتور [illegible]
- الدكتور [illegible]
- الدكتور [illegible] (الرئيس)
- الدكتور بيت كامل عبد اللطيف
- الدكتورة خيرية قاسمية (المقرر)
- الدكتور راضي دخقوس
- الدكتور رؤوف عباس حامد
- الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري (الرئيس)
- الدكتور محمد إبراهيم أبوسليم
- الدكتور يوسف محمد عبد الله
- الدكتور يونان لبيب رزيق

(عن مجلة أخبار الألكسو - العدد 9 فبراير 2002)

نداء من الإيسيسكو إلى العالم الإسلامي بمناسبة الذكرى العشرين لتأسيسها

وجهت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو- نداء إلى العالم الإسلامي بمناسبة 3 مايو 2002 حلول الذكرى العشرين لتأسيسها (3 مايو 1982 -)، دعت فيه إلى تضافر الجهود وتقوية التعاون والتضامن من أجل تحقيق نهضة تربوية وتعليمية وعلمية وثقافية تستجيب لمتطلبات العصر من أجل اكتساب عناصر القوة والمناعة والقدرة.

وفيما يلي نص النداء الذي وجهته الإيسيسكو إلى العالم الإسلامي:

تتزامن الذكرى العشرون لتأسيس المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو- (3 مايو 1982 - 3 مايو 2002)، مع تصاعد العدوان الإسرائيلي الغاشم على الشعب الفلسطيني، الذي يعد عدوانا على الأمة الإسلامية جمعاء، وانتهاكا لحقوقها التاريخية في فلسطين، وتدنيسا لمقدساتها الإسلامية والمسيحية، وخرقا للقوانين الدولية وقرارات مجلس الأمن وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ذات الصلة، مما يؤذن بمرحلة جديدة من المواجهة مع قوة الغطرسة والهيمنة التي تعرض سياستها التوسعية على العالم الإسلامي برمته، وتضعه أمام احتمالات بالغة الخطورة، تستدعي التعبئة التامة على كل المستويات، انطلاقا من تحصين الذات، ومن تقوية الوجود، ومن الحرص لتوفير أسباب إثبات الحضور في الساحة الدولية باستكمال شروط

التقدم والتنمية الشاملة في المجالات كافة.

إن العالم الإسلامي يقف اليوم في مفترق الطرق، وتفرض عليه الظروف الصعبة التي يمر بها، أن يختار أنجع الوسائل للخروج من الأزمة الحضارية التي يجتازها، بتجديد العزم وشحذ الإرادة لتطوير الحياة العامة في جميع المرافق. ولتحديث المناهج المعتمدة للنهوض الذي يحقق النماء ويعمق الانتماء ويقوي إرادة البناء في الميادين جميعا، وفي مقدمتها بناء الإنسان بالتربية الهادية الرشيدة، وبالعلوم النافعة القومية، وبالثقافة البانية الهادفة، التي هي قوام النهضة وعماد التقدم. وذلك هو السبيل إلى إكتساب شروط القوة والمناعة والقدرة والتفوق من أجل فرض احترام العالم للأمة الإسلامية.

إن التعليم هو بذرة التنمية الاقتصادية وثمرتها في الوقت نفسه. ولقد وضع العالم الإسلامي التزاما أمام نفسه، في إطار التزام المجتمع الدولي بكامله، بإدخال كل الأطفال إلى المدارس الابتدائية عام 2015، وهو التزام يعرف في المصطلح الدولي بـ (التعليم للجميع) الذي يتحول الآن إلى مجموعة من أهداف تنموية تعرف دوليا بـ(أهداف التنمية الألفية). ويمثل اليوم الوفاء بهذا الالتزام، تحديا من أكبر تحديات الحاضر والمستقبل التي تواجه العالم الإسلامي.

وإن المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة التي تنهض بمسؤولياتها في الإسهام في تخويل مبدأ (التربية للجميع) إلى واقع معيش في العالم الإسلامي، وإلى سياسة تعليمية وطنية تنفذها الدول الأعضاء، كل منها في نطاق مواردها وقدراتها وإمكانياتها ووفقا لاختياراتها الوطنية، لتنتهز مناسبة حلول الذكرى العشرين لتأسيسها، لتهيب بالدول الأعضاء كافة، إلى مضاعفة الجهود وتنسيقها وتكاملها وحشد الموارد الكافية من أجل تحقيق نهضة تعليمية شاملة تخرجها من الطور الحالي، إلى طور آخر أكثر تقدما ونموا وازدهارا.

وإن تحديث مناهج التعليم وتطوير التربية وفقا لمتغيرات العصر التي تعرفها المدرسة العصرية العالمية. من غير المساس بالثوابت الدينية والخصوصيات الثقافية التي لا يمكن التفريط فيها بأي حال من الأحوال، هو من المهام المستعجلة التي تتطلب التعبئة على المستوى الوطني، وعلى الصعيد الإقليمي والدولي، للتوسع في التعليم حتى يضم تحت مظلته جميع الأطفال الذين هم في سن الالتحاق بالمدارس، ولجعل التعليم حقا مشاعا ومتاحا للجميع، تطبيقا للمبدإ الدولي (التربية للجميع) الذي هو من صميم مبادئ الحضارة الإسلامية المستوحاة من تعاليم الإسلام وتوجيهاته، وللنهوض بمستويات الأداء التعليمي والإدارة المدرسية والإشراف التربوي والتقويم المنهجي والمراجعة على ضوء النتائج المحققة.

إن قوة التقدم للعالم الإسلامي تكمن في تطوير التربية والتعليم والثقافة بصورة شاملة طبقا للاستراتيجيات الثلاث التي وضعتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وهي استراتيجية تطوير التربية، والاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، واستراتيجية تطوير العلوم والتكنولوجيا، والتي أصبحت وثائق رسمية التزمت الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي بتنفيذها والاستئناس بها في وضع سياساتها الوطنية في مجالات التربية والعلوم والثقافة.

وتطوير التربية والعلوم والثقافة يحقق أهدافه حين يتغير المجتمع ويسير في الاتجاه الصحيح، ويتحول إلى مجتمع متعلم ومنتج يتسابق أفرادا وجماعات، في مضمار التجديد والابتكار وإتقان العمل وتوحيده واعتماد المنهج العلمي في التخطيط وتنفيذ السياسات العامة وفي الإدارة والتسيير وتدبير الشأن العام.

وإن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة التي ألت على نفسها أن تواصل العمل في إطار اختصاصاتها لتقديم خدماتها وخبراتها وأوجه الدعم

إلى الدول الأعضاء في هذا المجال الحيوي، تدرك بعمق، أن الرد الحاسم والنافع على التحديات الضاربة التي تواجه العالم الإسلامي، تم بوسائل عملية مجدية يأتي ضمنها الوسائل التي تعتمدها الإيسيسكو والعمل الكبير الذي تقوم به.

وتؤكد المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة التزامها الكامل بدعم المؤسسات التربوية والتعليمية والثقافية في فلسطين، وتقديم المساعدة والدعم للسلطة الوطنية الفلسطينية من خلال اللجنة الوطنية الفلسطينية للتربية والثقافة والعلوم في رام الله، للنهوض بالعملية التعليمية، ولإنقاذ المؤسسات المختصة، ولحماية المؤسسات الإسلامية والمسيحية في القدس وبيت لحم والخليل وفي غيرها من المدن الفلسطينية.

وتهيب المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، بدول العالم الإسلامي، وبالمجتمعات الإسلامية في كل مكان، وبالدول المحبة للسلام، وبالمنظمات الدولية والإقليمية، إلى العمل الفوري على إيقاف العدوان الهمجي على الشعب الفلسطيني، وإلى تقديم الدعم الكامل لهذا الشعب المظلوم، ليعيد بناء مؤسساته التعليمية والثقافية والعلمية، وحتى يستأنف أبناؤه تعليمهم في جو من الأمن والسلام والطمأنينة والتمتع بالكرامة الإنسانية.

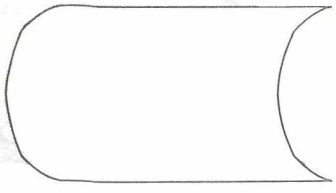

الإيسيسكـــو واللجنـــة الوطنيـــة الموريتانية/ تعاون

دورة تدريبية لفائدة المرأة الموريتانية

29/27 مايـــو 2002

احتضنت قاعة الاجتماعات بالمعـــهد الـتربوي الوطنـي بنواكشـوط دورة تدريبية حول سبل النهوض بـالتكوين الثقافي الإسلامي للمرأة الموريتانية.

وقد تم تمويل هذه الدورة من طـــرف المنظمة الإسلامية للتربيـــة والعلـوم والثقافة، وأشرفت على تنظيمها اللجنـة الوطنية الموريتانية للتربيـــة والثقافـــة والعلوم.

امتدت الدورة على مدى ثلاثـــة أيـام. وقد استفاد منها ما يزيد على أربعيـــن مشاركة من القطاعات التالية:

- كتابة الدولة لشؤون المرأة
- وزارة الثقافة والتوجيه الإسلامي
- المعهد التربوي الوطني
- شبكات المجتمع المدني النسوي
- والتعاونيات النسوية.

أشرف على تأطير الـــدورة خبـيران وطنيان، وتناولت العروض المحـــاور التالية:

- مكانة المرأة في الإسلام
- المرأة والتحديات المعاصرة
- الإسهام الثقافي للمرأة الشنقيطية
- دور المرأة في التنمية

جدير بالذكر أن الدورة افتتحـــت مـــن طرف مدير ديوان كاتبة الدولة لشؤون المرأة بحضور الكاتب العام لـــوزارة الاتصال والعلاقـــات مـــع البرلمـــان والأمين العام للجنة الوطنيـــة للتربيـــة والثقافة والعلوم، واختتمت من طـــرف المكلفة بمهمة لدى كاتبة الدولة لشؤون المرأة.

اليونسكو واللجنة الوطنية الموريتانية/تعـــاون

ملتقى لصالح المدارس الموريتانية المنتسبة لليونسكو في موريتانيا

8/5 مايـــــو 2002

بتمويل من المنظمـــة الأمميـــة للتربيـــة والعلوم والثقافة (اليونسكو) وبتنظيم مـــن اللجنة الوطنية الموريتانية للتربية والثقافة والعلوم، التـــأمت فـــي نواكشـــوط دورة تدريبية للمدارس المنتســـبة لليونســـكو بموريتانيا. وقد افتتحت هذه الدورة مـــن طرف الأمين العـــام لـــوزارة التـــهذيب الوطنـــي بحضـــور الكتـــاب العـــامين للوزارات المعنية والأمين العـــام للجنـــة الوطنية وخبيرة من مكتـــب اليونســـكو بعمان هي الآنسة إيمان قرعين المشـــرفة على التأطير.. استفاد من هـــذه الـــدورة أربعون مديرا ومدرسا يمثلـــون بعـــض المدارس المنتسبة وقد عرفـــت الخبـــيرة بشبكة المـــدارس المنتســـبة لليونســـكو وحددت أهدافها ونشـــاطها، ثـــم قدمـــت عرضا حول شروط الانتساب للشـــبكة، كما تناولت هيـــاكل ونشـــاط وأهـــداف اليونسكو ومجالات تدخلها.

ثم تحدثت عن العلاقـــة بيـــن المـــدارس المنتسبة والشـــركاء مثـــل: اليونســـكو واللجان الوطنية، والـــوزارات الوصيـــة على المدارس، إضافة للعلاقة مع أنديـــة اليونسكو. ودامت هذه الدورة ثلاثة أيـــام تخللتها مناقشات وورشات عمل.

واختتمت هذه الدورة من طرف الأميـــن العام لوزارة التهذيب، بحضور الســـادة: الأمين العام لوزارة الاتصال والعلاقـــات مع البرلمان، الأمين العام للجنة الوطنية، المدير العام للمعهد الـــتربوي الوطنـــي وجمع غفير من المهتمين بالتربية.

العلامة: سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي

المصطفى ولد أحمد - صحفي

لقد اختلفت المراجع حول اسمه الصحيح فمنهم من جعل (سيدي) قبل عبد الله والحاج قبل ابراهيم. ومنهم من أهملها واكتفى بعبد الله إبراهيم وخاصة معجم الأعلام كرضا، وخير الدين الزركلي ومن هذا الاختلاف نتبين قيمة التمييز بين الاسم الأصلي وما طرأ عليه، ناتج عن مكانته الثقافية، لأن السيادة لحقت باسمه تشريفا(ا). أما الحاج التي لحقت بوالده فهي بسبب أداء فريضة الحج. ويدعم هذا ما هو موجود في مؤلفاته مثل بداية (نور الأقاح) وشرحه (فيض الفتاح) حيث يقول:

يقول عبد الله وهو العلوي

راجي شفاعة، الجنان المولدي

والاسم المتداول الذي يوجد في جميع مؤلفاته هو: عبد الله بن إبراهيم وربما كان هذا دليلا على أنه هو الاسم الصحيح للرجل وحذفه للسيادة بسبب ورعه وتواضعه. ويدعم هذا الرأي الأخير لأن اسمه المتداول في كتب المترجمين وحتى من أقرب الناس إليه فهذا ابنه: محمد محمود الذي يعتبر أول من كتب عن حياته في كتابه (الدر الخالد في مناقب الوالد) يقول فيه "فهو: سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم". وكذلك صاحب الوسيط وغيرهما ومن هنا نخرج باسمين مختلفين للرجل: اسم رسمي وأخر اجتماعي تشريفي.

أما نسبه: فمرتبط دائما في جميع تراجمه بـ(العلوي)، ولم نجد خلافا في ذلك لأن الاختلاف يظهر عند بحث العلوية هل هي من فاطمة أو من غيرها، إلا أن خير الدين الزركلي يقول: (علوي النسب من غير أبناء فاطمة، من قبيلة ادوعلي) والذي يقع

عليه الإجماع هو علويته مع ترجيح النسبة الفاطمية. وهناك سلسلة تثبت ذلك فهو: عبد الله ولد الحاج إبراهيم بن الإمام عبد الرحمن بن الإمام محمد أحمد بن إسحاق بن يعقوب بن اندومك بن يحي بن أحمد بن علي بن بلحمر.. إلى ان تصل هذه السلسلة إلى الحسن بن علي رضي الله عنهم وأرضاهم.

أما نسبه من جهة الأم، فهي: مريم غلة بنت عبد الله من قبيلة (الأقلال) التي يرجع نسبها إلى محمد بن أبي بكر الصديق وقد تعرض الشيخ لنسب أبيه وأمه في رسالته المعروفة (بصحيحة النقل في علوية ادعول وبكرية أبناء محمد قلي). فقبيلته هي التي أسست مدينة آبير 160هـ وكذلك شنقيط 1506م والقبيلة مرت بثلاث مراحل: المرحلة الأولى طور النشأة في آبير والاستقرار في شنقيط والانتشار أو الهجرة وذلك نحو تجكجة ومنطقة الكبلة سنة 1660م وهذه الفترة الأخيرة كان أجداد سيد عبد الله مؤثرين فيه. وكان جده الإمام عبد الرحمن صاحب ذلك الدور البارز في الهجرة، وهو صاحب كرامات وزعيم روحي وإمام، ثم خلفه ابنه إبراهيم والد سيد عبد الله. (2)

مراحل حياته

إن جميع المراجع كادت تهمل حياته الأولى وهذا ما فرض علينا نوعا من الاستنتاج والمقارنة بين الروايات صحيفة تاريخ تجكجة التي فيها تاريخ ميلاد الرجل في الصفحة الأولى 1152هـ - 1740م) (3)من والده وفي نفس الصحيفة يوجد تاريخ ذهاب أبيه في بعثة الحج ومعه أخوه الحاج محمد، كما فيها أيضا وفاة أبيه وعمه بعد أداء فريضة الحج في عودتهما.(4)

وبناء على هذا فإننا سوف نقسم حياة هذا العالم إلى ثلاثة مراحل:

أولا: نشأته:

نشأ سيدي عبد الله في تجكجة وكانت آنذاك مصدر إشعاع حضاري ومظلة علمية تستظل بها المناطق المجاورة، وكان سيد عبد الله يستقي من معين

علمها في أول حياته حيث دامت هذه الفترة مدة عشرين سنة. وهذه الفترة من حياته لم تحظ بتدوين كبير. ويقول صاحب الدر الخالد "إنه كان الغاية، في الورع والزهد."(5) فسيد عبد الله كان كما يبدو على مكانة كبيرة من الدراية ومعرفة طرق أخذ العلم، وكيف يؤديها إلى غيره عند الحاجة(6). وهذه المرحلة أخذ فيها عن علماء بارزين من أهل تجكجة. ثم سافر إلى منطقة الكبلة(7) حيث قضى فيها سبع سنين، وكانت تلك الفترة فترة نهضة ثقافية، وازدهار للدراسة، وانتشارها في تلك المنطقة. واستفاد صاحبنا من هذه المحاظر التي درس فيها وخصوصا في علوم العربية عموما وعلوم البيان وغيرها.. وعلوم الكلام... إلخ.(8)

ثانيا: رحيله إلى الخارج:

وتبدأ هذه الفترة من سند 1179هـ - 1765م وقضى ما يقارب عشرين سنة في هذه الرحلة حيث يقول ابنه الذي توفي بعده بثلاث سنين وهو مرجع أساس عنه حيث يقول في رحلته: "كان رحمه الله قد ذهب إلى المغرب فمكث فيه سبع سنين الغالب عليه الفاسان الجديد ومراكش هي التي أخذ منها عن البناني، واشتهر في المغرب غاية الاشتهار واعترف بفضله.. وصار أقرب خاصة سيدي محمد بن مولاي اسماعيل"(9). أما صاحب الوسيط فقد بدأ كلامه عنه بقوله: "هو العلامة النحرير طار ذكره وانتشر واشتهر علمه في الآفاق.. تلقى العلم من البناني محشي الزرقاني وتلقاه البناني عنه أيضا، فحج ولقي من يشار إليه من علماء مصر وذاكرهم وأفاد واستفاد منهم."(10)

ومن هنا نلاحظ أن سيد عبد الله لم يأت إلى المغرب إلا للتحقيق والتعمق واستجلاب المفقود، فكان هذا سببا في إذاعة صيته حتى خارج بلده. كما اتفق المترجمون على صداقته مع السلطان سيدي محمد بن مولاي إسماعيل، حيث أرسله في بعثة الحج مع ابنه اليزيد. كما يذكرون جهاده معه.

ويقول صاحب الدر الخالد: "يقول أهل المغرب: ما صاحب السلطان سيدي محمد ونجي منه إلا الوالد وقد جاهد معه في سبيل الله... وثنى عليه بالسيادة والذكر والكرم"(11). كما يقول الدي ولد سيدي بابه في تقديمه لحياة سيدي عبد الله في كتابه مراقي السعود وشرحه نشر البنود: "وقد نال المؤلف حظوة لدى السلطان سيدي محمد"(12).

أما الفترة التي قضاها في الحج فإننا لم نجد عنها تفصيلا واضحا إلا أنه ناظر العلماء في الحجاز ومصر، وقد اتصل بحاكمها في ذلك الوقت وأعطاه فرسا (اكحيلات مصر) والذي يظهر أن ذلك الحاكم هو محمد عالي باشا. ويقول صاحب الوسيط: "مكث لطلب العلم ولم يشبع منه فأخذ ممن وجد"(13)

وتنتهي هذه الفترة كما يقول صاحب الدر الخالد بأن "قدم من المغرب بأربعمائة كتاب فيها الكتب التي لم تكن موجودة في شنقيط ولا في ولاته..."(14). وبهذا يضيف إلى مكتبته التي ورثها عن أبيه ما كان ينقصها من كتب.

ثالثا: عودته إلى وطنه:

تبدأ الفترة الأخيرة من حياة العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم بعودته إلى وطنه سنة 1190هـ - 1776م وقد حظيت هذه الفترة بعناية كبيرة من قبل الدارسين والمترجمين له، وبما أن هذه المرحلة هي الأخيرة من حياته زمنيا فإنها تكاد تكون هي الأولى، لما تميزت به من سخاء في العطاء، وغزارة في الانتاج، واعتناء بأمور الدنيا والدين. كما أنها كانت نتيجة حتمية للمرحلتين الأوليين، فكانت إذن مرحلة الاستقرار. إلا أنه لم يبق في تجكجة بعد عودته إلا ثماني عشرة سنة، أما بقية حياته فقد قضاها في معقله المعروف بالقبه والذي بقي فيه إلى أن دفن.

مكانته العلمية

عندما وصل سيدي عبد الله إلى مسقط رأسه تجكجة، بعد رحلته الطويلة التي

دامت سبع عشرة سنة قضاها كلها أخذا وعطاء، وعودته بمكتبة نادرة وعظيمة ضمها إلى مكتبة أبيه. فإن أول عمل قام به هو إنشاء مدرسة أصبح الطلاب يتوافدون عليها من جميع البلاد. وأهم ما تميزت به هذه المدرسة نزعتها الأصولية التي يعتبر سيدي عبد الله رائدها في موريتانيا، حيث يقول الأستاذ محمد المحتار ولد أباه: "سيدي عبد الله مؤسس علم الأصول من خلال مؤلفة مراقي السعود"(15). كما عرفت هذه المدرسة بنزعتها البيانية اللغوية وذلك ربما لسبب تأثر صاحبها بالنزعة البونية (نسبة للمختار بن بونه).

اشتهرت مدرسة سيدي عبد الله، بموسوعيتها وتعدد اختصاصاتها. وقد اجمع على ذلك جميع المترجمين له، يقول سيدي محمد الجكني، كما أورده صاحب الوسيط: "أعطته العلوم أزمتها فصار من علماء أئمتها..."(16) ولا يختلف عن ذلك كثيرا ما ذكره بدي بن سيدينه قال: "لقد زرت تجكجة زمن سيدي عبد الله ووجدتهم كأنما بعث فيهم نبي"(17). ومن أهم ما تميزت به هذه المدرسة هو نزعتها التجديدية التي شاعت فلي أكثر من مجال، وخاصة في علوم الحديث وذلك ما دفع صاحب الوسيط إلى القول: "وكان أوحد زمانه في جميع العلوم، ولم يبلغ أحد من العلماء مبلغه في الحديث"(18).

أما ظاهرة التأليف فهي تعتمد على سد النقص وتوفير المجهود وتقويم الأغلاط والأخطاء. وقد اهتم ابنه سيدي محمد بالتأليف في الجوانب التي تركها والده. وفي ذلك يقول آب بن أخطور الجكني: "إن سيدي عبد الله وابنه سيدي محمد يمتازان بالرشد في التأليف."(19) ومن أهم ما يميز مكانة صاحبنا العلمية مؤلفاته التي سنذكر بعضها هنا: النوازل - رسالة في الفقه - طرد الضوال والهمل - نشر البنود على مراقي السعود - وهدي الأبرار، شرح طلعة الأنوار - الفيض الفتاح على نور الأقاح - رشد الغافل - غوة الصباح وشرحها - مكفرات الذنوب -

نظم القراءات الثلاثة - نظم مصير الأعمى - نظم الأربعين السادة - تحرير المقالة طبيب المرعى - نزهة الرضا - رسالة الروض - تعليق على تكميل المنهج - روضة النسرين - صحيحة النقل - نظم الأجناس العالية.

إن هذا الجزء من حياة سيدي عبد الله يتحدد في سلوكه وعلاقاته ومواقفه من قضايا عصره وأهله لاسيما منطقته التي هي واسطة العقد في حياته، مع العلم بأنه نشب بينه وبين أبناء عمومته خلاف بعد عودته، مما أدى به إلى الرحيل من مسقط رأسه -تجكجة- إلى واد القبة الذي استقر به إلى أن دفن فيه.

وأجمع المؤرخون على قيام علاقة قوية بين سيد عبد الله ومحمد بن امحمد شين أمير إمارة ادوعيش، فكانت العلاقة متكاملة بين الرجلين، حيث كانت الأوامر تصدر من سيدي عبد الله الذي يمثل القوة الروحية والتشريعية وتطبق من طرف الأمير محمد الذي يمثل القوة العسكرية والتنفيذية.

أساتذته:

سوف نذكر هنا ما اتفق عليه من هؤلاء الأساتذة:

1- أحمد بن عبد الله وهو عالم جليل وولي وصالح، قدم إلى تجكجة سنة وفاة والد سيدي عبد الله، عائدا من الحج بقرية من قرى الصعيد المصري ت1733م كما مر بنا.

2- أحمد بن اخليفه بن الحاج العلوي المتوفى 1774م في تجكجة وقد قضى خمسين سنة في طلب العلم واشتهر بتدريسه للحديث.

3- المختار بن بون الجكني المتوفى سنة 1220هـ (على خلاف) وهو عالم نحوي بلاغي متكلم، له مناظرات وتأليف وهو صاحب (المدرسة البونية) أخذ عن محمد بن العاقل وغيره.

4- سيدي عبد الله بن الفاضل بن بارك الله، اليعقوبي، الشمشوي، المتوفى 1209هـ الموافق 1760م عالم كبير وولي عارف، قاض سني مالكي لا تدوم معه بدعة. وقد عارض المجيدري بن حب الله، وكانت محظرته تتنقل من "إينشيري" إلى "تيرس" إلى "آمساكه" وقد خلفه ابنه.

أما أساتذته من غير هذه البلاد فهم

-البناني الفقيه المغربي، المتوفى 1194هـ، وهو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مسعود البناني كان خطيب الضريح الإدريسي بفاس وكان عالما بالتفسير والحديث والفقه والأصول والنحو ويقال أنه درس على سيد عبد الله وهذا يبرز مكانة هذه البلاد العلمية آنذاك.

.أ- التاودي اسمه: محمد بن الطالب بن سودة المرني الفاسي التاودي يعتبر الفقيه والمحدث الأعظم بفاس وقد توفي بها ويعتبر من مشاهر علماء المغرب وله تآليف كثيرة.

تلامذة سيد عبد الله:

لقد أجمع المترجمون له على أن كل من أدركه أو عاصره أخذ عنه إلا أننا نكتفي بأخذ ما هو متواتر.

فهذه المدرسة كانت نقطة جذب لطلاب العلم من جميع أنحاء البلاد حيث كان التعليم فيها ديمقراطيا لا يحتكر على فئة دون أخرى كما أنها كانت مجددة وربما كان هو السبب في تنوع طلابها وأكثر الذين استفادوا بالطبع هم من أهل تجكجة حيث تخرجت منها أربعون عالما وهذا ما ذكره صاحب الدر الخالد.

1- أهم من أخذ عنه:

- الطالب بن حنكوش، ت.1862م - سيد مولود، ت. 1824م، عبد الرحمن بن اطويلب - السالك بن عمار - محمد الحافظ بن المختار بن لحبيب، ت. 1247هـ محمد بن محم - عاشرو (اباه) ت. 1849م - سيد ابراهيم بن الطالب محمد، ت. 1242 - أحمد جدو بن الطالب محمد، ت. 1821م - سيد

أحمد بن المامي – عبد الله بن لمرابط سيد محمود، ت. 1839م – الطالب محمد بن اطوير الجنة – التقي بن اطوير الجنة – محمد محمود بن اطوير الجنة – سيد المختار بن سيد احمد بن الهادم – سيد احمد بن باب احمد – لحبيب بن محمد الحاج – السالك بن احمد مولود – سيد احمد بن لحبيب – مختار بن الطالب اعبيدي – أحمد بن المختار – الشيخ أحمد بن سيد المحجوب – المصطاف بن حمادي – محمد بن المصطفى – سيد محمد بن احبيب – عبد الرحمن بن الجود – سيد ابراهيم ولد الطالب جدو – جواد بن السائح – سيد احمد بن سيد المين – سيد احمد بن عبد الرحمن بن الطالب سيد احمد... صالح بن عبد الوهاب – سيد ولد عبد الرحمن – عمر ولد بابنه – محمد محمود ولد الطالب احمد – عبد الرحمن بن محمد لعبيد – إبراهيم بن الطالب بيه – محمد بن الطالب ابراهيم – اشريف احمد الولي – انبوي بن الشواف – سيد احمد أبن الكيحل – سيد بن عبد الوهاب – سيد محمد بن اعلي المختار – احمد بن الطالب ابراهيم – لحبيب بن الطالب ابراهيم – محمد بن علي بن المعلوم بن تالول – الطاهر بن اخيار انتلجو – احمد بن محمد البلالي – بوب بن احمد مولود– محمد بن سيد – سيد ولد النفاع..(20)

أسرته وأزواجه:

1- فاطمة بنت البليل العلوية تزوجها في ترة مبكرة من حياته وطلقها قبل ذهابه لطب العلم خارج منطقته

2- رقية بنت لمرابط سيد محمود تزوها سند رجوعه من رحلته

3- خديجة بنت اتفاق الحاية (بنت أخت السابقة)

4- اخديجة بنت أحمد طاهر تزوها في آخر حياته

أبناؤه:

1- محمد: هو أكبر ابنائه وهو عالم كبير ت. 1821م

2- محمد محمود: درس على والده وعلى المختار بن بونه، وسيد عبد الله بن الفاضل كان عالما وقد توفي سنة 1870م بكنكوصة.

3- سيد محمد وهو عالم مجليل درس على والده وابن بونه وسيد عبد الله بن الفاضل وقد ألف في المسائل التي أهملها والده فكان مكملا لما تركه. ت. 1836 بارقيبه

4- محمد أحمد: عالم جليل

5- محمد الامين الملقب قاضي الحجرة المعروف بالنمين وهو عالم جليل وقد عاش ما يقارب سبعين سنة ت. 1882م بالقبة

6- محمد المختار: عالم جليل وصوفي ورجل دين ودنيا، كان ذا مال كثير

7- محمد أحيد وهو أصغر أبنائه ولم يدرك والده إلا أن الله الهمه العلم من لدنه.

بناته:

1- صفية: أم أبناء محم عاشور

2- فاطمة: (لديه) أم أبناء محم عاشور وابناء السالك

3- سكينه: أم أبناء باب جد احمد

4- آمنة: أم أبناء الإمام أحمد بن الحاج إبراهيم

5- القرشية: أم أبناء خيري بن الطالب سيد أحمد القلاوي

6- رقية: أم أبناء لحبيب بن الحاج بن اطويلب

7- نفيسة: زوجة الشيخ محمد الحافظ ولم تعقب

8- أم كلثوم: أم أبناء الجيلاني بن عبد الله بن لمرابط سيد محمود.(21)

وفي الأخير فإنه مما لا شك فيه أن مكانته العلمية قد اكسبته التقدير والاعتبار لأنه استكمل ما عند علماء بلده في وقت مبكر من حياته ثم ارتحل يطلب المزيد حيث حل بمنطقة

الكبلة وأخذ من صفوة محاظرها ثم خرج الوطن وزار جل البلاد الاسلامية التي هي مظان العلم كالمغرب، ومصر (الجامع الازهر)، والحجاز وغيرهم، ولا شك أن طموحه الواسع واهتمامه العالي بتحصيل العلم قد بوأه تلك المنزلة العالية التي أصبح يبرز بها سيد عبد الله عن غيره من العلماء مما جعله الغاية في هذا المجال والمثل الأعلى في كل القيم السامية.

الهوامش:

1- الخليل النحوي: بلاد شنقيط، المنارة والرباط. ص513 تونس 1987

2- سيدي محمد ولد محمد عبد الله ولد بزيد. معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي- طبعة محلية- 1414ه ص 36

3- نفس المرجع ص 37

4- ن م ص 38

5- ن م ص 39

6- أحمد بن الأمين الشنقيطي- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط- مكتبة المنير 1989 القاهرة ص37

7- ن م ص 38

8- ن م ص 39

9- المختار بن حامدن ج2 الحياة الثقافية- الدار العربية للكتاب- ط تونس 1990 ص 51 ط1

10- سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم- مرجع المشكلات. ص 6 مخطوط المكتبة الوطنية.

11- ن م س ص 7

12- نوازل سيدي عبد الله أسئلة من المعاملات . تحقيق الطالبة فاطمة السالمة بنت أحمد مسكة. رسالة تخرج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. سنة 1991-92 ص3

13- ن. م. س. ص 4

14- سيدي عبد الله تحقيق العبادات والمعاملات. من النوازل. اعداد الطالب المهدي بن سيدي محمد رسالة تخرج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية. السنة 1989-90 ص5

15- ن م ص 6

16- سيدي عبد الله.. هدي الأبرار على طلعة الأنوار- تحقيق سيد محمد بن محمد المختار- رسالة تخرج م ع د ب إ 1988-89 ص7

17- ن م س ص 8

18- ن م س ص 9

19- ن م س ص 10

20- ن م س ص 11

21- ن م س ص 12

محمد محمود بن التلاميد التركزي
جهوده في التحقيق وجمع المخطوطات

(الحلقة الأولى)

د. ماء العينين بن محمد الأمين

أستاذ النحو والصرف في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة انواكشوط

تصويباته واستدراكاته:

شغف ابن التلاميد بتحقيق الكتب وتصحيها، ليل نهار، في حله وترحاله، وكان الكتاب جليسه المفضل، كما كان مغرما بطلب العلم في كل أحواله، يقول في التحقيق[1]:

أنا الذي لا أزال الدهر أطرب
سراً وجهرا لتسياري ومضطربي
أنا الذي لا أزال الدهر ذا شغف
بنقري الكتب .. خافي الكذب

ويقول في الكتاب[2]:

وما سررت بشيء قد ظفرت به
مسرتي بكتاب نلته عربي
ألهو به طول ليلي والنهار معا
مجانبا لهو خود عذبة الشنب

ويقول في العلم[3]:

وإني لأبغى العلم وحدي خاليا
وأبغيه بين الناس في ملأ جم
وإني لأبغي العلم رجلان حافيا
وأبغيه موق العيس في البوس والنعم
وإني لأبغي العلم يقظان قاعدا
وفي مضجعي في النوم أبغيه باللم
وأبغيه جهرا بالدراسة معلنا
وأبغيه وقت السر والأمر ذى الكتم
وأبغيه وقت الحرب والسلم لا أني
وأبغيه أوقات العدالة والظلم

[1] ابن التلاميد محمد محمود: الحاسة، طبع مطبعة الموسوعات، القاهرة 1319هـ، الجزء 2، ص18

[2] ابن التلاميد محمد محمود: المصدر السابق، الجزء نفسه، ص.ن

[3] ابن التلاميد محمد محمود: السابق الجزء 1، ص.10 - 11

وأطلبه شبعان ريان كاسيا
وأطلبه جوعان ظمآن ذا هذم
وجلت له في العرب والعجم صابرا
على هنوات من عريب ومن عجم
وجلت له في الروم والترك صابرا
أقرقف تحت الثلج والوابل السجم[1]

ومن أعظم أعمال ابن التلاميذ المنشورة في التحقيق تصحيحه "لشرح شواهد المغني" للسيوطي، و"دلائل الإعجاز" ومدخله للجرجاني، اللذين صححهما بالاشتراك مع صديقه محمد عبده. وهذا التصحيح غير ظاهر في الكتاب الأول، ولا في الكتابين الأخيرين، فقد علقت حواشي الأول، علقها أحمد ظافر طوقان[2] كما علقت حواشي الأخيرين، والسيد محمد رشيد رضا هو الذي علقها[3]. ويقول ناشرو "شرح شواهد المغني": "وقام على نشره المرحوم أمين أفندي الخانجي بتصحيحات العالم العلامة، الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي. وقد حافظنا على هذه التصحيحات مع تعليقاته، كما فيها من بعد نظر، وفائدة كبيرة، تدل على ما لهذا الرجل الكبير من علم، وذكاء وعبقرية، كما هو واضح من الاطلاع عليها. وللشيخ تعليقات كثيرة على أكثر كتب الأدب والشعر واللغة، كانت منارا لمن أتى بعده.

كلمة أخيرة لا بد منها، وهي كلمة تقدير وإعجاب لشيخنا الجليل، محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي، لما له من فضل على المكتبة العربية وتقييدات كانت منارا للعارفين وهداية للمؤمنين بهذه اللغة الشريفة"[4].

ويقول ناشرو "دلائل الإعجاز": لقد صحح هذا الكتاب علامتا العقول والمنقول: "الأستاذ الإمام، الشيخ محمد

[1] الوابل السجم: المطر الكثير

[2] الوسيط (عبد الرحمن بن محمد بن عثمان) شرح شواهد المغني، منشورات دار مكتبة الحياة، تحقيق ابن التلاميذ، بيروت د.ت.، وانظر صفحة العنوان.

[3] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الاعجالا، مكتبة القاهرة، شركة الطباعة الفنية المتحدة، تصحيح ابن التلاميذ والاعمام محمد عبد، القاهرة 1381هـ/1961م.

[4] أنظر مقدمة الكتاب

عبده، والأستاذ اللغوي المحدث، الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي[1].

ومن ذلك أيضا تحقيقه "للقاموس المحيط" الذي أثبته على نسخته المخطوطة، المحفوظة بدار الكتب المصرية. وقد أورده الزاوي في ترتيبه[2] وهو تعليقات وتصحيحات بعضها من ابن التلاميذ والآخر نقله عن غيره، وأورد الزاوي كل ذلك في حواشي كتابه، يقول ابن التلاميذ في ذلك، وقد ضمنه إحدى قصائده[3]: وهذه هي القصيدة المقطوعة... وكنت أنشأتها عام 1306هـ، حيث وجدت نسخة القاموس، المقروءة على مؤلفه، وعليها خطه، فقابلت عليها نسختي، ونسخة السيد عبد الرحمن الجزولي (أحد تلامذته بتركيا)، رحمه الله تعالى، فقلت:

ختمت بحمد الله ملهم حكمه
قلمس محمد الدين قاموس علمه[4]
ضربت له في الأرض حتى وجدته
بخط أنيق حوله صح باسمه
بخط أبي بكر بن يوسف حمير
على ما حواه من شناعة ظلمه
وعارضه درسا على المجد كله
عراض بخط المجد تصحيح رقمه
فعارضت فرعينا عليه عرائض
وصححت ما أضناه منه برسمه
وقصر عن ذا كل من رام ضبطه
وطاشت سهام من رماه بسهمه
فصارا بفضل الله للأصل عمدة
وحررت ما قد حاد عنه بفهمه
فأثبت ما ينفيه من كل شاهد
وأبديت ما يخفيه من بعض وهمه

ويقول الزاوي في ترتيبه: "قوبلت النسخة التي رتبنا عليها على نسخة إمام اللغة، الأستاذ الكبير، الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي، المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم 29 ش.

---

[1] انظر صفحة العنوان

[2] الزاوي (الطاهر أحمد): ترتيب القاموس المحيط، ط3، دار الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس 1980م. انظر المقدمة وباقي الكتاب في أجزائه الأربعة.

[3] ابن التلاميذ (محمد محمود) المصدر السابق، الجزء 2، ص140-141

[4] القلمس: البحر، وهذا القاموس، وهو كالأول وبعدا. مجد الدين/ لقب الفيروزابادي

وقد كتب عليها (يعني ابن التلاميذ) بخطه أنه قابل نسخته على النسخة الرسولية[1] المقروءة على المؤلف سنة 814هـ، في 112 مجلسا. وما وجد مضببا عليه في النسخة الرسولية جعل بين هاتين العلامتين (ج ج)، وما شطب عليه فيها جعل بين هذين الحرفين (ط ط)[2].

ومنه أيضا تصحيحه لمخصص ابن سيده، بعد تأسيس محمد عبده "جمعية إحياء الكتب العربية" التي كانت فاتحة أعمالها نشر كتاب "المخصص" في اللغة. وقد عهد في تصحيحه للعالم اللغوي الشيخ محمد محمود الشنقيطي[3]. وكان صاحبنا من أعضاء هذه الجمعية البارزين، و"علما من أعلام اللغة العربية، يعلمها للناس، ويصحح ما تعقد من الكتب، وينشر البحوث اللغوية الدالة على اطلاع واسع وتدقيق عميق"، وهي بحوث يبدو أنها كانت بغير اسمه، أو أنها مجهولة المظان، لعدم ما يوضح ذلك فيما وجدته. يقول ابن التلاميذ في الموضوع ذاته، وفي تحقيقه "القاموس" وعلاقته بنابغة مصر، محمد عبده في رثائه نفسه[4]:

تذكرت من يبكي علي فلم أجد
سوى كتب تختان بعدي أو علمي
وغير الفتى المفتى محمد عبد الصد
يق الصادق الود والكلم
سيبكيني المفتي إذا اعتاص مشكل
تصنع كالاروى على طودها العصم
فعصم العلوم كنت أنزلها له
إذا اعتاصت ارواها على كل ذي فهم
وكان على علم وبر صداقنا
إذا كان من قوم صداق على إسم
سيبكيني التفسير والنحو قبله
بكاء اللغات والرواد الأولى أنمي
سيبكي حديث المصطفى ورجاله
أولو الجرح والتعديل ملعرب والعجم

[1] هي نسخة الملل الناصر صلاح الدين بن رسول سلطان اليمن، وقد حكم بنو رسول (وهي أسرة) اليمن من سنة 1229م-1404م وكذلك الحجازي وكانت عاصمتهم مدينة تعز.

[2] الزاوي (الطاهر أحمد) المصدر السابق، الجزء 1، ص29

[3] أمين (أحمد): زعماء الاصلاح، ط3، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1971م، ص363، رشيد رضا (محمد): تاريخ الاستاذ الإمام، ط:س، مطبعة المنارة القاهرة 1350هـ/1931م الجزء: 1، ص754.

[4] انظر ابن التلاميذ (محمد محمود: المصدر السابق، الجزء 1، ص14، 15

سيبكي رمي العلم رشقا مولولا سيبكي والكتب بعدما
إذا ما سهام القوم طاشت سوى سهمي[1] صدعن بأمري غير صم ولا بكم
سيبكي علي العلم والكتب بعدما مخصصها المطبوع يشهد مفصحا
أغيب في رمسي فيندبني باسمي بما جاز من ضبطي الصحيح ومن رممي
سيبكي علي العلم والكتب بعدما فعبد الغني القارئ الفرع شاهد
وضعت على أعناق أوهامها وسمي بحفظي عند الحذف والبتر والخرم
سيبكي علي العلم والكتب بعدما بذا يشهد المفتى وأصحاب طبعه
قسمت بعدل وهمها أعدل القسم ولا يكتمون الحق كتمان من يكمي
سيبكي علي العلم والكتب بعدما وقاموسها المشهور يشهد في الضحى
تمكن من تزييف بهرجها حكمي بذاك وفي بعض الليالي وفي الدهم

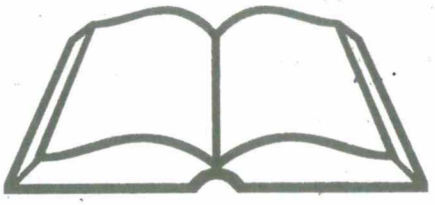

[1] الرشيق: الاسم من رشق النبل. مولولا: مصوتا.

الأدب الموريتاني الحديث واختلاف التاريخ للحادثة

قراءة للدوائر النقدية الواصفة للخطاب والمؤرخة له

د. محمد الأمين ولد مولاي إبراهيم

أستاذ بكلية الآداب، جامعة انواكشوط

إهـــــــــداء:

إلى روح أستاذي وأستاذ جيلي من خريجي المدرسة العليا للأساتذة وكلية الآداب د. أحمد بن الحسن (جمال) في ذكرى رحيله الثانية وفاء للعلم الذي أودعه صدورنا، وتقديرا لإسهامه الكبير والمتميز في تأسيس التجربة النقدية الموريتانية.

0.0 – إن العودة إلى بدايات التحول الأدبي، الذي عرفه الأدب الموريتاني الحديث ستنير لنا وللمهتمين بتاريخ الأدب العربي في موريتانيا، حلقة مهمة من حلقات هذا الأدب، ما تزال بحاجة إلى مزيد من الإثارة والبحث، لا على مستوى جمع وتحقيق ونشر نصوص هذه الفترة فحسب، وإنما على مستوى إدراك ووعي تاريخية ظهور هذه النصوص في علاقة أبنيتها ومضامينها بزمنية التحول إذ أن التوقف عند المستوى الأول (جمع وتحقيق ونشر المدونة) ينبغي أن يشفع بالانتقال إلى المستوى الثاني (إخضاع هذه المدونة للدرس والمساءلة والتفكير)، من أجل تفعيل العلاقة ما بيننا وتاريخ أدبنا، حتى وإن تعددت وتنوعت المداخل النظرية والنقدية التي تستثمر لكتابة هذا التاريخ، والإسهام في بلورة الوعي بكتابته، إذ القول في هذا الشأن لا ينبغي أن يأخذ على أنه حقيقة مطلقة غير قابلة للنقاش، بل على أنه رأى أو طرح من بين آراء وأطروحات أخرى قد تلتقي أو تختلف في مساءلتها لنصوص هذا الأدب وفي

التفكير في كيفية انبناء تاريخيتها، والوعي بهذا التاريخ، على نحو يكفل حرية واحترام الطرح الآخر، داخل دوائر البحث العلمي الشيء الذي يسهم مع الزمن في تجذير تقاليد البحث وأدبياته في الوسط الأكاديمي والثقافي المهتم بالتاريخ الثقافي لهذه البلاد.

1.0 – في هذا السياق تأتي هذه الدراسة لتعرف بيدايات تحول أدبية الأدب الموريتاني وتظهر جانبا من الاختلاف النقدي في التاريخ للأدب المستند إلى مرتكز نقدي مختلف عن المرتكزات الأخرى التي يمكن أن ينظر بها إلى الأدب، ويؤرخ من خلالها له، مكتفية هذه الدراسة في هذا المستوى من طرح هذه القضية من قضايا الأدب الموريتاني، بالتعرض لأهم الدوائر النقدية الموريتانية الواصفة لهذا الأدب والمؤرخة له ونبدأ هذا العرض بتحديدين زمنيين لمجال الزمن الثقافي الذي نتحدث عنه.

الأول ومنهما تحديد نقدي متعلق بصفة الحداثة في الأدب الموريتاني واختلاف التاريخ لها، والثاني منهجي - نود هنا أن نبدأ به لهذا السبب - متعلق بتحديد بدايات التحول من حيث أن هذه البدايات يمكن أن تلمسها - في نظرنا - من خلال وصفنا لوضع الخطاب الأدبي الموريتاني خلال مرحلتي: ما قبل التحول من جهة ومرحلة التحول في إرهاصاتها الأولى من جهة ثانية، معتبرين أن زمنية حداثة هذا الأدب إنما كانت وليدة هذا التحول ومسار تراكمات زمنه الثقافي، وما أحدثه من تغيرات على صيغ وأشكال القول الأدبي في هذه البداية، معتمدين في وصفنا لوضع الخطاب خلال المرحلتين على المؤشرات السوسيو ثقافية التي تحكمت في الثقافة الموريتانية، وعلى ترهين نصوص هذا الأدب (ربطها بتاريخ كتابتها وظهورها) وربط ابنيتها ودلالاتها النصية بالسياق الاجتماعي والثقافي الذي ظهرت فيه هذه النصوص أو كتبت فيه. هذا ما سعينا إلى تحقيقه في

المشروع النقدي الذي بسطنا لمهاده النظري في الكتاب الأول من كتابه المعنون ب: "الشعرية التاريخية وأدبية الأدب الموريتاني: قراءة لظهور الأنواع والأشكال، مساهمة في التاريخ للأدب الموريتاني من منظور الشعرية، الكتاب الأول"[1] الذي قدم له د. محسن جاسم الموسوي وبدأنا مرحلته التطبيقية المنشغلة بالتاريخ للأنواع الأدبية كل على حدة، في الكتاب الثاني المعنون ب: "السرديات والرواية الموريتانية: قراءة لتاريخ تشكل الخطاب في النصوص الروائية الموريتانية من (1981–1999) مساهمة في التاريخ للرواية الموريتانية من منظور السرديات، الكتاب الثاني"[2] والذي قدم له د. محمد برادة.

2.0– انطلاقا من جهدنا هذا من فكرة نعتبرها أساسية، مؤداها، أن التاريخ لأدبنا العربي عموما والموريتاني خصوصا -ينبغي أن يكون تاريخا لزمنية ظهور نصوصه وأشكاله الأدبية في علاقة أبنيتها النصية بالسياق الاجتماعي الثقافي الذي أفرها من جهة، وفي علاقة هذه النصوص والأشكال الاجتماعي والثقافي داخل القضاء الذي أنتج هذه النصوص والأشكال[3] من جهة ثانية. ذلك أن التركيز على زمنية ظهور نصوص وأشكال أدب ما-في علاقة أبنية هذه النصوص والأشكال بالسياقات التي أفرزتها، وعلى تداولية هذه النصوص والأشكال الاجتماعية والثقافية- من حيث هي معبرة عن تحولات الذائقة العامة لهذا الأدب -هو الذي يسمح لنا بمزيد من الوعي بتاريخ أدبنا الموريتاني خاصة، والعربي عامة، إذ أننا نعتبر "أن العلاقة ما بيننا وتاريخ

[1] محمد الأمين بن مولاي إبراهيم، الشعرية التاريخية وأدبية الأدب الموريتاني: قراءة لظهور الأنواع والأشكال الأدبية (مساهمة في التاريخ للأدب الموريتاني من منظور الشعرية)، الكتاب الاول، تقديم د. محسن جاسم الموسوي، دار الأمين، القاهرة، 2001.

[2] محمد الأمين بن مولاي إبراهيم، السرديات والرواية الموريتانية: قراءة لتاريخية تشكل الخطاب في النصوص الروائية الموريتانية من 1981-1999 (مساهمة في التاريخ للرواية الموريتانية من منظور السرديات)، الكتاب الثاني تقديم د. محمد برادة، يصدر قريبا عن دار الأمين بالقاهرة، وهو في الأصل أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث، من معهد البحوث والدراسات العربية للقاهرة للعام الدراسي (1999-2000) تحت إشراف أ.د. نبيلة ابراهيم.

[3] سعينا إلى تدعيم هذه الفكرة وبلورتها في كتابنا "التحول والأزمة في الرواية المصرية الحديثة"، مركز الإنماء الحضاري، حلب سوريا 2000.

أدبنا العربي- مازالت بحاجة إلى الدراسة وإعادة النظر وانبنائها على أساس وآليات وتصورات هي إلى الأدب وموضوعه أقرب وأدخل منه إلى التاريخ والجغرافيا[1].

- الأدب الموريتاني الحديث واختلافات التاريخ للحداثة:

0.1- تطرح المدونة النقدية الموريتانية في تناولها لحداثة الأدب الموريتاني وتاريخيتها قضايا عديدة، لعل أهمها اختلاف المركزات النقدية التي يستند إليها كل طرح.

وحتى وإن لم يكن بالإمكان أحيانا الكشف عن هذه المرتكزات ومساءلتها -نظرا إلى أن أصحابها لم يخرجوها بعد إلى حيز التداول المقروء[2]، أو أنها ما تزال لم تعبر عن نفسها إلا داخل حدود ضيقة من التناول، لأن أغلبها من البحوث الأكاديمية التي ما تزال مرقونة - فإن المتتبع لهذه الجهود يمكنه أن يرجعها إلى ثلاث مرتكزات نقدية متباينة في الطرح ومساءلة النصوص وإن ظلت متعايشة في زمنها الثقافي، الشيء الذي ولد مع الزمن هذا الحوار الأخرس ما بين أصحاب دوائر هذه المرتكزات، نظرا لأن الحوار ما بين هؤلاء لم تتجاوز بعد مستوى الحوار النقدي الشفاهي المرتجل الذي يضيع في الأثير، بعد الانتهاء من المحاضرة أو من البرنامج الإذاعي أو التلفزيوني أو من النقاش الثنائي أو الجمعي ما بين المتحاورين - دون أن تنتقل هذه الحوارية إلى مستوى الحوار النقدي المكتوب القائم على متابعة الآراء ومناقشتها، مما يؤدي إلى تفعيل جدلية حوار المكتوب من جهة ويسهم مع الزمن في خلق تقاليد النقد وثقافته.

1.1- عند العودة إلى المدونة النقدية التي تناولت الأدب الحديث في موريتانيا بالدراسة والتحليل يتبين لنا

---

[1] محمد الامين ولد مولاي ابراهيم: المرجع السابق ص7

[2] أغلب الدراسات والبحوث التي أنجزت عن الأدب الموريتاني الحديث والقديم مازالت لم تصل بعد-إلى يد القارئ نظرا لأنها لم تنشر ولأن تداولها في صورتها المرقونة مازال ضيقا أيضا، لأن أغلب هذه الدراسات والبحوث أنجز في الجامعات العربية والأجنبية خارج البلاد، ومن هنا ظل تداولها ضيقا ومخصوصا.

أن أصحاب هذه المدونة ينتمون في الغالب إلى ثلاث دوائر نقدية متباينة في مرتكزاتها النقدية، التي تنطلق منها وفي التصورات التي تبنى على أساسها العلاقة ما بينها وتاريخ هذا الأدب وإن ظلت هذه الدوائر متداخلة: بفعل تعايشها داخل الفضاء المكاني والزماني من جهة، وبفعل صدور أصحابها في الغالب عن مشترك ثقافي نقدي[1] كرسته سلطة ثقافية أكاديمية محلية حينا ومجاورة حينا آخر، ودعمته تداولية نوع محدد ووحيد من الكتب الأكاديمية بالإضافة إلى غياب عامل التنوع والثراء المطلوبين في القراءة من جهة ثانية.

الدوائر النقدية ومرتكزاتها:

2.1- يمكن أن نلاحظ ونحن نحاول أن نقف على أهم تمفصلات الدوائر النقدية والممارسة للنقد في الساحة الثقافية الموريتانية خلال العقدين الأخيرين - ثلاث دوائر أساسية متباينة في سعة انتشارها وفي المرتكزات والأسس النقدية التي تصدر عنها كل دائرة، وفي تأثيرها على المستقبل للعملية الأدبية.

وهكذا يمكن أن نعرض هنا بشيء من الإيجاز، المخل، لهذه الدوائر وللمرتكزات النقدية التي تتأسس عليها هذه الدوائر، لنرى إلى أي مدى كانت هذه المرتكزات هي المتحكمة في تحديد مفهوم الحداثة لدى أصحاب هذه المرتكزات، وفي التاريخ لهذه الحداثة، والوعي بهذا التاريخ الأمر الذي أدى إلى تباين واختلاف في التاريخ لهذه الحداثة، وفي العوامل التي كانت وراء

---

[1] نعني "بالمشترك الثقافي النقدي": سيطرة أحادية القراءة التي طبعت تقاليد القراءة في مؤسساتنا الجامعية في السنوات الماضية والتي مازالت بعض آثارها مستمرة وهي الظاهرة التي تدفع الطالب والباحث معا إلى الانصياع إلى الدرس الأكاديمي الذي يتلقاه في هذه المؤسسات ويعيد إنتاجه بطريقة أخرى، دون أن يستطيع التحرر من آليات التفكير المدرسي. وقد عزز من هذه الظاهرة عدم الوصول المتواصل للكتاب النقدي والثقافي الجديدين وكذا النشر الأكاديمي – إلى بلادنا ودعمها تداول نوع من الكتب المتقادمة، لا تتوفر المكتبات الجامعية عندنا إلا عليها: ومن هنا ولهذه الأسباب وغيرها، ظلت دائرة القراءة النقدية والأدبية عندنا –وللأسف– في الغالب قراءة أكاديمية مدرسية تكرر نفسها وتدور في حلقة مغلقة يساهم في إنتاجها وإعادة إنتاجها الأستاذ الجامعي والباحث الشاب والطالب الجامعي على حد السواء وإن بمستويات مختلفة، لصدور الجميع عن مشترك ثقافي واحد. على أنه من الانصاف التنبيه إلى أن هذه الظاهرة ليست خاصة بوسطنا الجامعي وحده، بل إن إلب الأوساط الجامعية العربية، قد عرفت، بل لعلها لا تزال تعرف هذه الظاهرة – بدرجات من الحدة أقل. وهي الظاهرة التي لا تزال تعوق – مع عوائق أخرى – تطور النقد العربي المعاصر.

ظهور الأدب الموريتاني الحديث، وفي مظاهر حادثة هذا الأدب.

- الدائرة التقليدية والمرتكز التاريخي:

0.2.1 -تمثل هذه الدائرة المهتمين بالأدب والمنتجين له من الجيل الأول، الذين عاصروا قيام الدولة الحديثة في موريتانيا. وعاشوا تحولاتها الاجتماعية والسياسية. وأصحاب هذه الدائرة هم في الغالب من الأدباء وأصحاب الثقافة الذين شعروا بفعل التحديث وأوضاعه الجديدة فكانت آراؤهم عن الأدب أقرب إلى شهادات مبدعين وأصحاب مستوى معين من الثقافة والخبرة بالأدب، دون أن تصل -في نظرنا- إلى المستوى النقدي الكافي لإخراج أحكام وآراء هؤلاء عن الأدب وتاريخه إلى حيز الحكم النقدي، لذلك ظلت هذه الشهادات والآراء تصدر في الغالب عن أدباء وشعراء من ذوي الثقافة التقليدية المتأثرة بما حمله فضاء الدولة الحديثة.

ويرتكز الوعي النقدي عند أصحاب هذه الدائرة على التصور التقليدي الكلاسيكي القائم على الارتباط الوطيد ما بين التاريخ والجغرافيا وغيرهما من العلوم الإنسانية والأدب وتاريخه، وهو التصور الذي يصبح معه المرتكز النقدي معتمدا على المعطيات الخارجية المستمرة من هذه العلوم الحافة بالأدب - وإن كانت مساعدة في التاريخ له، دون أن تعطي الاهتمام الكافي للمعطيات الداخلية المستمدة من الأدب ذاته، لذلك ليس غريبا أن نلاحظ أن خطاب هؤلاء عن الحداثة والتاريخ لها ظل متمحورا حول ما تمد به هذه العلوم الناقد ومؤرخ الأدب من معلومات، فهم إن تحدثوا عن الحداثة ربطوها بتاريخ قيام الدولة وبالمتغيرات التي أحدثها انتقال المجتمع الموريتاني من البداوة إلى الحضر دونما إعطاء كبير شأن للمتغير الثقافي وخاصة منه الأدبي.

ويظل اعتماد هؤلاء على التاريخ مرتكزا للحديث عن الأدب والتاريخ

له، السمة المميزة لخطاب هؤلاء حول الأدب. وهي السمة التي نعتقد أنها كانت وراء سيادة هذا الخطاب واتساع دائرته وتغلغلها داخل البنية الاجتماعية خلال الستينات والسبعينات من هذا القرن، بفعل ما يقوم عليه هذا الخطاب من رواية وخبر: رواية تروى سير منتجي هذا الأدب وتفاصيل حياتهم وأخبارهم، وخبر يخبر عن تماطي مجتمع هذا الأدب لنصوصه، وعن تاريخ تداول هذه النصوص في استهلاكها وتعالقها[1] القافيين. وقد مكن كل من الرواية والخبر - بالصيغة التي أبنا عنها - الدائرة التقليدية من الانفتاح على البنية الاجتماعية الثقافية، وقد كانت الثقافة التقليدية لأفراد هذه البنية العامل المعزز لهذا الانفتاح، ولسيادة خطاب هذه الدائرة في العقدين الأولين من عمر الدولة الوطنية (1960-1980).

والذي يبدو لنا أن هذه الدائرة التقليدية، لم تستطع أن تنتج الحكم النقدي وإنما اقتصرت الجهود - الساعية إلى إيجاد نوع من الخطاب حول الأدب أو حول نصوصه في هذه الفترة - على إصدار آراء وتصورات هي إلى شهادات المبدعين وأصحاب الخبرة بالأدب اقرب منها إلى الآراء والتصورات النقدية.

الدائرة الأكاديمية والمرتكز المدرسي:

1.2.1- تمثل كثافة هذه الدائرة تداخل جيل خريجي الجامعات العربية والأجنبية قبل قيام المؤسسات الجامعية الوطنية، وجيل خرجي المؤسسات الجامعية المحلية بعد إنشائها. وهو التداخل الذي نشأت عنه تلك الخبرة بالأدب الأكثر وعيا من سابقتها، التي بدأت شيئا فشيئا تتجذر في حلقات هذه الدائرة بفعل الدرس الجامعي من جهة، والاحتكاك الثقافي في الوسط الجامعي بتداول الكتاب النقدي من جهة ثانية.

[1] مثل التعاطي الشفوي لأخبار وأشعار الشعراء الموريتانيين في الثقافة الموريتانية إلى فترات قريبة من قيام الدولة الوطنية -مصدر خبرة بهذا الأدب وبنصوصه. ومن هنا كان تداول هذه الأخبار والنصوص- والتقطن إلى ما يقوم بينها من تشابه - البداية الأولى - في نظرنا - لبوادر نقد شفوي موريتاني تتأسس جمالياته النقدية على: الرواية والخبر: رواية تروى سير منتجي هذا الأدب وخبر يخبر عن تعاطي مجتمع هذا الأدب لنصوصه، وعن تاريخ تداول هذه النصوص في استهلاكها وتفاعلها وتعالقها النصية.

وقد مكنت هذه الخبرة الواعية بالأدب أصحاب هذه الدائرة من تسليط خطاب حول الأدب ونصوصه يخالف في منهجه وأحكامه النقدية، خطاب أصحاب الدائرة التقليدية السابقة من حيث إن هذا الخطاب يصدر عن حد أدنى من الوعي النقدي والخبرة بالتعامل مع النصوص، وهو الوعي والخبرة اللذان كرستهما سلطة المؤسسة الجامعية وتقاليد البحث فيها مما جعل خطاب هؤلاء يخرج تدريجيا - في نظرنا - عن ما أسميناه سابقا بحيز "شهادات المبعدين وأصحاب الخبرة بالأدب" إلى حيز الرأي النقدي المستند إلى قدر من الوعي بالمنهج النقدي.

ولئن ارتكز الوعي النقدي في الدائرة التقليدية على ما أبنا عنه سابقا من تصور تقليدي اكلاسيكي يفتقد إلى الارتباط بالأدب ونصوصه ويغالي في الاهتمام بمنتج الأدب وسيرته - فإن الوعي النقدي عند أصحاب الدائرة الأكاديمية، كان أكثر ارتباطا بالأدب ونصوصه، وبما أنجز من تصورات نقدية حول النظرية الأدبية، وهو ما أدى إلى نوع من التخلي التدريجي عن الاهتمام بالمعطى السيري لأصحاب النصوص والتركيز على نصوصهم، في محاولة من أصحاب هذه الدائرة لإنشاء خطاب نقدي حول هذا الأدب، يتبنى أطروحات أحد المناهج النقدية التقليدية أو الحديثة كما درسها وفهمها هؤلاء خلال تكوينهم الأكاديمي.

وعلى الرغم من أن جهود أصحاب الدائرة الأكاديمية قد مثلت عنصرا أساسيا في تكوين الحركة النقدية الحديثة في موريتانيا - فإنما اتسمت به هذه الجهود من سمة أكاديمية مدرسية، قد أدى مع الزمن إلى خلق نوع من الولاء شبه المطلق، لما انتهى إليه التنظير المدرسي من جهة والوفاء لطريقة تفكيره المدرسي، وهو ما تجلى: فيما طبع أعمال هؤلاء من تقليد أعمى أحيانا للأطروحات المدرسية التي تحتاج إلى روح النقد والتحرر الفكري: اللذان ينبغي أن يحكما العمل

النقدي، هذا بالإضافة إلى عدم متابعة - البعض - للتطور السريع الذي عرفته المناهج النقدية الحديثة خلال العقدين الأخيرين، بفعل عدم وصول الكتاب النقدي والنشر الأكاديمي بانتظام إلى مؤسساتنا الجامعية، الأمر الذي أدى مع الزمن -وللأسف- إلى ظاهرة تعاطي وتداول وتدريس لون متقادم نسبيا من الكتاب النقدي والنشر الأكاديمي.

لقد أدت هذه العوامل متكاتفة إلى نوع من الانصياع اللاإرادي أحيانا لدى الكثيرين من أصحاب هذه الدائرة من باثين وأساتذة جامعيين إلى ما كرسه التنظير النقدي المدرسي، والتعويل عليه في قراءتهم لأدبنا العربي عموما والموريتاني خصوصا، بحثي أصبحت سلطة المرتكز المدرسي لهذه المناهج معطلة -أحيانا- لكل تفكير نقدي يحاول أن يتحرر من الرؤية المركزية لهذه السلطة، ينشئ خطابا نقديا متحررا من هذا المرتكز، مستفيدا من مختلف المناهج النقدية الحديثة، بما يناسب الموضوع المدروس وبما يستجيب وخصوصية كل تجربة أدبية.

ولئن استطاعت حلقات هذه الدائرة بتنوع مشاربها، أن تنتج الحكم النقدي وأن تخلق لنفسها تصورها النقدي الخاص، فإن موقف أصحاب هذه الدائرة من الحداثة وتصوراتهم لتاريخية الحداثة في الأدب الموريتاني -ومن وراء ذلك وعيهم بحركة الأدب العربي الحديث في موريتانيا- قد ظل أمينا للمرتكز المدرسي - الذي أبنا عن بعض جوانبه- ولآليات تفكيره، وأساليب مقاربته: الذي يبدو لنا أن تحكم الموقف المدرسي الأكاديمي في وعي أصحاب الدائرة الأكاديمية في النقد الأدبي الحديث في موريتانيا، والانصياع غير الواعي أحيانا لتصوراتها وأساليب مقاربتها الأكاديمية المدرسية - قد أديا مع الزمن إلى تكريس خطاب نقدي لا يراعي خصوصية تشكلات الحداثة في التجربة الأدبية الحديثة في موريتانيا، ولا تاريخية هذا التشكل باعتبارهما

المنطلق والأساس - في نظرنا - لأي رصد واع لحركة الأدب الحديث في موريتانيا والكشف عن تمظهرات حداثته. ومن هنا ظل وعينا بتاريخ الأدب العربي الحديث في موريتانيا وحركته، وعيا محكوما بمرتكزات مدرسية وبتصورات أكادمية، نقضتها الأطروحات النقدية الحديثة وتجاوزها التنظير النقدي المعاصر.

الدائرة القرائية والمرتكز النقدي:

2.2.1. - تمثل هذه الدائرة ثلة من حلقات الدائرة الأكاديمية ممن حظوا بإكمال دراستهم العليا، وشغلوا بالبحث والقراءة. وهي شريحة -إن جاز لنا أن نطلق عليها هذا الإسم تجاوزا- بدأت تتميز في طرحها وخطابها حول الأدب ونصوصه في السنوات الأخيرة[1] وذلك بمحاولة هذه الثلة التخلي التدريجي عن الطرح الأكاديمي المدرسي الذي كرسته المؤسسة الثقافية المحلية، في سعي منها إلى التحرر من سلطة الرؤية المركزية للدائرة النقدية الأكاديمية وآليات تفكيرها وأساليب مقاربتها، طارحة خطابها حول الأدب ونصوصه كخطاب نقدي مناهض للخطاب السائد ومحاور له.

وعلى الرغم من تعدد العوامل التي ساهمت في ظهور وتميز هذه الثلة، فإن تأثرها بالدوائر القرائية العربية التي بدأت تتبلور في العقد الأخير من الثمانينات - كان كبيرا وفاعلا بحكم تتلمذ أصحاب هذه الدائرة على رواد هذه الدوائر العربية، تتلمذا مباشرا أو غير مباشر، وهي الدوائر التي أخذت تخرج عن الطرح المدرسي وآليات تفكيره ومقاربته للظاهرة الأدبية، وتعلن عن نفسها من خلال مرتكز قرائي نقدي متحرر من سلطة وتفكير الطرح الأكاديمي المدرسي الذي هيمن لعقود عديدة على النقد العربي داخل المؤسسات الجامعية وخارجها كنوع

[1] بدأت هذه الشريحة تعلن عن نفسها مع بداية التسعينات ومن خلال بعض الدراسات والبحوث المهتمة بالأدب الموريتاني والتي ظهرت في "حوليات الجامعة" ومجلة "الموكب الثقافي" ومجلة "الوسيط" ولعل آخر عينات هذه الدراسات والبحوث ما نشرته مجلة الآداب البيروتية، في الملف الذي خصصته للأدب الموريتاني في عددها المزدوج ¾ لشهري مارس وإبريل لعام 1997.

من "الوعي الممكن" المخالف للوعي النقدي القائم.

ولئن تكاثفت تراكمات هذا الوعي في أغلبية الدوائر النقدية العربية، فولدت نوعا من الحوار النقدي المكتوب كانت أوضح مظاهره، ما شهدته الساحة الثقافية العربية من حركة نشطة لتداول الكتاب النقدي من جهة، والندوات النقدية التي نشرت عبر المجلات والدوريات الأكاديمية المتخصصة - فإن التجربة النقدية الموريتانية من الوعي، قد ظل ضعيفا بفعل صعوبة وصول الكتاب النقدي الحديث الظهور إلى الباحث الموريتاني من جهة، ولعدم المشاركة غير الدائمة في الكثير من أطروحاته النقدية، ومع ذلك فقد عرفت الحركة النقدية الحديثة في موريتانيا بداية من التسعينات تنامي خط نقدي ذى مرتكز قرائي يبنى خطابه حول الأدب من منظور نقدي مخالف لمنظور أصحاب الدائرة الأكاديمية. وذلك بتخلي هذا الخط المتوالي عن الطرح المدرسي، وعن أساليب مقارباته وآليات تفكيره النقدي، الشيء الذي أعطى للحركة النقدية في موريتانيا دفعا جديدا.

وقد رافق تنامي هذا الخط ما اتسمت به تجربة أصحاب هذه الدائرة من تعدد المناهج النقدية التي يصدر عنها هؤلاء، إذ تمثل هذه المناهج عكاز القراءة وسندها القرائي الذي عليه تتأسس. ومن آليات هذه المناهج النقدية وأساليب مقاربتها تأخذ كل قراءة معالمها النقدية وسمات انتمائها إلى منهج معين من المناهج النقدية الحديثة.

والذي يبدو لنا أن تتفاوت وضوح الرؤية النقدية ونضجها عند أصحاب الدائرة القرائية في التجربة الموريتانية خاصة والعربية عامة، إنما كان يتحقق على قدر تمكن الناقد من المناهج النقدية وعيه بآلياتها وأساليب مقاربتها، وإطلاعه على الخلفية الفكرية التي تصدر عنها، وعلى قدر تمكن هذا الناقد من التصرف في هذه الأدوات والآليات تصرفا يضع في الحسبان

خصوصية النص والثقافة: خصوصية النص حين يراعي الملاءمة ما بيْن المنهج والنص إذ لكل نص المنهج الذي يلائمه، وخصوصية الثقافة حين يراعي السياقات الثقافية التي صدر عنها النص، والوعي بأنساقه اللسانية والثقافية والاجتماعية باعتبارها أنساقا وليدة خصوصية ثقافية معينة، ومسار من التراكمات النصية.

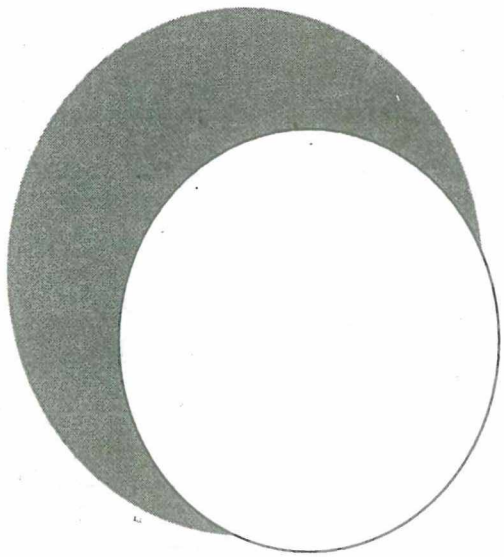

آليات المجتمع الموريتاني في التموقع وممارسة السلطة

د/ محمد فاضل ولد محمد الحطاب

فندت البلاد المعروفة حاليا باسم "موريتانيا"[1]، منذ انزياح دولة المرابطين في القرن العاشر الميلادي عن مجالها الترابي علاقتها بالحدود المضبوطة. وقد استهوى الباحثين في التاريخ الموريتاني ضبط مجال هذه البلاد وحدودها، غير أن محاولاتهم لم تعد كونها محاولات إجرائية أو تحديدات طابعها الآنية والإمكانية لم توفق أي منها في إعطاء حدود جامعة لهذه البلاد. نظرا لتمنع حالة الترحال الدائم - طلبا للكلأ والمراعي أو بحثا عن الكتاتيب - على الاعتراف بالحدود من جهة. ونظرا ـ من جهة أخرى ـ لعدم قرب مركز سلطة خارجية أخرى تحافظ على حدودها وتسمح برسم حدود موريتانيا من الخارج، لكن هذه المحاولات أو الدراسات أجمعت على مسالتين:

أولاهما: أن الفضاء الموريتاني يعني - بضبابية وتداخل - المجال الجغرافي الذي يتموقع في الرقعة الممتدة من أطراف السلطة المركزية في الغرب إلى نظيرتها في مملكة مالي أو الصونغاي، ومن المحيط الأطلسي إلى نهر السينغال. فحد الإقليم (موريتانيا) من الساقية الحمراء إلى جبال الذهب من وراء تمبكتو، ومصب الأبحر العذبة في المحيط، ومصب الساقية فيه[2].

[1] عرفت هذه البلاد عدة تسميات كان أخرها اسم موريتانيا. ولذلك نطلقه تجاوزا على الأسماء المتباينة زمنيا ودلاليا

[2] الشيخ النعمة بن الشيخ ماء العينين: تنوين الملوين في حياة الشيخ ماء العينين، مخطوط

ثانيتهما: أن هذا الفضاء تتعايش فيه ثلاث مجموعات بشرية رئيسة:

أ- الزنوج: ويتواجدون في المناطق المحاذية لنهر السينغال

ب- صنهاجة: ويتألفون من مجموعات ثلاث (مسوفه، أكداله، لمتونه)

ج- العرب: ويتكونون من قبائل وافدة من القرن الثاني عشر الميلادي.

ويتحكم غياب سلطة موحدة ذات نفوذ تحكم به سيطرتها على المركز وتشد به إليها الأطراف، أصبحت مؤسسة القبيلة الأداة الفعالة الوحيدة في هذا المجتمع لحماية الفرد وصيانة ممتلكاته، مما جعل الارتباط بها يشكل ضرورة حياتية، ويفرض خلق إطارات ونماذج مؤسسية تفاعلت مع الزمن، محددة قوانين عرفية يتواطؤ عليها المجتمع لتفرز الطرق التي بواسطتها تنتج الروابط الاجتماعية والسياسية، وتتم عن طريقها صياغة هذه الروابط وإعادة توليدها. مما جعل عامل الزمن يحسم التراتبية الاجتماعية والتخصصات الفئوية.

لكن عامل الزمن هذا أثار إشكالات أخرى، فإذا كان أغلب المؤرخين - فيما اطلعنا عليه - يجمعون على أقدمية الزنوج وصنهاجة تاريخيا في هذه البلاد على العرب. فإنهم يختلفون اختلافات حادة حول مسألة تقسيم المجموعات وتسمية كل منها باسم خاص بها، واحترافها مهنا وفنونا أصبحت فيما بعد تشكل إطارها السوسيو اقتصادي، مما يسمح بالتساؤل عما إذا كان هذا التقسيم جاء وليد تمثل المجموعات العربية الوافدة لكيانات وقوالب المجموعات السابقة لها من زنوج وصنهاجة، وانصهارها في هذه القوالب كنوع من التكيف؟ أم أن العرب القادمين هم الذين فرضوا هذه التقسيمات كرمز لتكريس السيادة المكتسبة حديثا؟ وهنا نجد تفسيرين:

أولهما: أن النموذج المرابطي شكل في المراحل اللاحقة عليه زمنيا مرجعية تاريخية لكل مؤسس يريد التأصيل

التاريخي لطرحه. مما حدا ببعض الباحثين إلى إرجاع التركيبة الاجتماعية الموريتانية بمؤسساتها الأهلية إلى الأجراء التنظيمي الذي قام به القائد المرابطي أبو بكر بن عامر (ت 480 هـ/1087م) حين قسم المجتمع الى ثلاث فئات:

أ- مجاربين: همهم الأوحد حمل السلاح وممارسة السياسة.

ت- زوايا: متخصصين في العلم، والشؤون التجارية.

ث- قاعدة عريضة تقوم على الإنتاج بكافة أساليبه ووسائله، تختلف أسماؤها حسب ولآاتها.

ج- لكن بعض الباحثين اعترض بشدة على هذا التأصيل التاريخي، واعتبره غائبا، بحجة أن آليات ترابط وتفاعل مجتمع ما لا يمكن أن يحددها إجراء سياسي، نظرا للحركة البنيوية للهياكل الاجتماعية من جهة، ونظرا من جهة أخرى إلى وجود هذه التصنيفات في إمبراطورية مالي المجاورة والسابقة زمنيا على المثل المرابطي[1]

ثانيا: هنالك وجهة نظر أخرى ترى أن مؤسسات المجتمع الموريتاني جاءت نتيجة للتفاعل الذي حدث بين قبائل صنهاجة والعرب الوافدين بعد سقوط الدولة المرابطية، و ما تلا ذلك من حروب كرست نفوذ المجموعات العربية.

واعتمد الكتاب الغربيون هذا الرأي في سياق حديثهم عن البنية الاجتماعية، ومحاولتهم تفسيرها بثنائية صراع العرب والبربر (صنهاجه)[2]. ومهما كانت أرجحية أحد هذين الرأيين فإنهما لا يعدوان كونهما محاولة لدعم المشروعية الاجتماعية نظريا، ومرجعا أعلى لتفسير وتقنين حالات

[1] محمد المختار ولد السعد: حرب شربيه أو أزمة القرن 17 في الجنوب الموريتاني المعهد الموريتاني للبحث العلمي – انواكشوط 1986 ص51

[2] أحمد ولد الحسن: الشعر الشنقيطي في القرن 13 هـ وصف في الأساليب، دكتوراه دولة في الآداب، تونس 1986 –ص 36.

التمايز والتراتب الاجتماعي والسياسي السائدة في المجتمع الموريتاني.

وبصفة عامة فإن ظهور المجتمع الموريتاني بتركيبته الثلاثية جاء وليد تفاعل منظومة من العوامل امتدت على فترات تاريخية طويلة. وبدءا بالعوامل الطبيعية الحاسمة في المجتمعات التقليدية، وانتهاء بالصراعات والحروب على اختلاف مقاصدها ووسائلها، وما يمليه واقع الغلبة وغريزة تكريس المجد المكتسب للمتغلب.. فكلها عوامل رسخت تقسيما ثلاثيا - رائجا - يمكن اعتباره بالأساس وظيفيا جذره الزمن وأدخل عليه بعض التعديلات، كاستجابة لتداعيات مستجدات التطور الآلي لهذا المجتمع.

هكذا طبع هذا التصنيف المؤسسات الأهلية في البلاد الموريتانية، وظلت مقوماته وأساليب تجاوبه مع الآخر قائمة دون اختلالات كبيرة، مما يذكي جذوة الفضول للتعرف على مؤسسات هذا المجتمع مع التحفظ على الدراسات الإسقاطية، وجاهزية النماذج، مراعين خصوصياته. ويمكننا تلمس ميكانيزمات وهياكل التصنيف السابق، ومعرفة آليات تعاملها، وأدوات تفاعلها البينية والخارجية، باستقراء خصوصيات كل فئة، وملامح تلوناتها بمسحة احتكاكها بفضاء الآخر.

1- **المجموعة المحاربة:** تطلق على هذه المجموعة عدة تسميات تتعمق دلالتها وتتسم بالكثافة حسب الجهات والمجموعات. ويظل القاسم المشترك بين هذه التسميات هو الدلالة الإيجابية والوظيفية التي تطلق على هذه المجموعة تمييزا لها عن غيرها. وتعرف هذه المجموعة عند الزنوج باسم « RIMBA » وتأخذ نسقيتها في المجتمع الزنجي على شكل عائلات أو أسر[1]. بينما تنتظم عند العرب على

[1]- Malindo Small : La France en Mauritanie, les effets de la sécheresse et la migration sur leur statut économique et les implications pour les programmes de développement USAID / Nouakchott, Octobre 1980 – PXIII.

شكل قبائل ومجموعات تعرف بأسماء مختلفة.

وتتحدد معالم هذه المجموعة سواء كانت عربية أم زنجية في كونها المسيطرة بحد السيف، والجانية لنتائج تلك السيطرة، محتكرة وحدها حمل السلاح الذي تفرض بواسطته نفوذها على المجموعات الأخرى، وتتولى به إدارة الشؤون السياسية، ويطلق على هذه المجموعة اصطلاحا اسم العرب أو حسان[1] رغم عدم انتساب بعض قبائلها إلى أصول حسانية أو عربية. ولهذا التباين في الأصل الجينيالوجي والاتحاد الوظيفي ما يبرره، فمع سيطرة القبائل العربية على المنطقة أصبحت عادة حمل السلاح كافية لإطلاق لفظ "حسان" أو "العرب" على كل من يحترف مهنة حمل السلاح، ولو لم يكن حسانيا أو عربيا في الأصل، فتحولت اللفظة بهذا المفهوم من مدلولها العرقي إلى مدلول اجتماعي جاء نتيجة للتبادل الاجتماعي والبشري بين الصحراء الموريتانية والحواضر المغربية.

لقد عمل قادة دولة المرابطين منذ انزياحهم إلى الشمال (المغرب والأندلس) على استنزاف الصحراء من قبيلتي اكدالة ولمتونة الصنهاجيتين، بهدف تجديد دماء الجيش المرابطي من الصنهاجيين، مما كان له بالغ الأثر في تشجيع حركة هجرة معاكسة من الحواضر المغربية إلى الصحراء الصنهاجية[2]، فبدأت طلائع قبائل العرب من بني سليم ومعقل.. خصوصا تلك التي كانت خاتمة تطوافها من الصعيد المصري عبر شمال إفريقية إلى الصحراء الغربية، حيث طاب لها المقام بين واد نون و الساقية الحمراء في المرحلة الأولى، ثم توغلت إلى الجنوب في مرحلة ثانية. وتشير المصادر

[1] - الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، عرض للحياة العلمية والاشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)و تونس، 1987، ص34.

[2] - ددود ولد عبد الله: الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين 17-18، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط 1992، ص157.

التاريخية إلى أن رواد زحف هذه المجموعات وصلوا البلاد الموريتانية مع نهاية القرن الثاني عشر وبداية الثالث عشر الميلاديين[1]. ووصلت هذه المجموعات العربية عابرة المجال الموريتاني من الشمال في اتجاه الوسط والجنوب الغربي تحت إغراء الموارد الطبيعية على عدة دفعات.

ثم تتالت الهجرات العربية إلى البلاد الموريتانية ليؤسس المغافرة بعد ذلك إماراتهم كنوع من التعبير السياسي عن كينونة وحداتهم العسكرية السلطوية. فارضين نظاما ضريبيا يترجم إلى حد كبير لوحة البنية الاجتماعية السياسية السائدة آنذاك. وشكل هذا النظام الضريبي أهم مصدر دخل لهذه المجموعة التي أنفت عن ممارسة الأنشطة الاقتصادية الأخرى، واكتفت على حد تعبير أحد الكتاب الفرنسيين بامتلاك المالكين[2]. كما كانت هذه المجموعة تستفيد إلى حد كبير من الامتيازات والهدايا التي تدفعها لها الشركات الأجنبية مقابل حماية وضمان لأمن التبادل التجاري في مناطق نفوذها، لاسيما مع رواج تجارة الصمغ[3].

وطبعت خاصية الحركة الدائمة المجموعات الحسانية نظرا لكثرة الصراعات واستحكام قانون السيف، مما كتب لبعض هذه المجموعات البقاء والاستقرار والتأثير بشكل متفاوت الأهمية، وفرض على البعض الآخر اضمحلال الذكر باندماجه غالبا في مجموعات أخرى وفق الآليات التي تحكم مضاربات سوق التبادل الاجتماعي في تلك الفترة، كظاهر الهجرة أو التوبة التي بموجبها يترك

[1] - الشيخ محمد اليدالي: شيم الزوايا – أمر الولي ناصر الدين – رسالة النصيحة، تحقيق وتقديم محمذن ولد باباه، بيت الحكمة، قرطاج، تونس 1990، ص61.

[2]- Francis de Chassey : L'étrier, la houe et le livre, « sociétés traditionnelles » au Sahara et au Sahel Occidental. Edition L'Harmattan, Paris 1993 – P112.

[3]- Gnokane Adama : La Politique française sur la rive droite du Sénégal, le pays maure (1917-1903), thèse Doctorat du 3ème cycle. Paris 1 – 1987. P54.

المحارب أو الحساني سلوكه الحربي ويحترف النعلم ويقبع في الكتاتيب أو المساجد اقتداء بسلوك الزوايا.

2- **المجموعة المثقفة أو "الزوايا":** ترجع هذه الفئة من حيث الأصول الى القبائل الصنهاجية الموجودة سلفا في البلاد، أو إلى القبائل العربية الوافدة. وان كان جلها يصر على الأصل العربي، وهو أمر متحفظ عليه رغم أن بعضه يبدو مستساغا من وجهة النظر التاريخية نظرا لهجرة العرب من الحواضر المغربية إلي الأرياف الصحراوية[1]. أما تعميم عروبة هذه القبائل كما تدعي فيبدو أمرا بالغ الصعوبة. ويطلق مصطلح الزوايا عموما في العرف المحلي على المجموعة المثقفة نظرا لانزوائها عن الحياة السياسية الحربية بعد انكسار شوكة دولة المرابطين داخل الفصائل الصنهاجية.

وقد اتخذ الزوايا من الاهتمام بالعلم والشؤون وسيلة لمنافسة خصومهم حسان في ريادة المجتمع. جاعلين من هذا التوجه الثقافي الملجأ الأساسي من أجل التحكم في نتائج التعارض الوظيفي بينهم وبين حسان، إلى جانب كونه نوعا من التعويض عن المفقودات في الحروب التي خرجوا منها منهزمين، والتي أفقدتهم الكثير من امتيازاتهم وطموحاتهم وأخضعت أغلبهم للهيمنة الحسانية، وأرغمته على دفع الضرائب والغرامات.

ورغم السحنة الدينية لهذه الفئة فإن ممارساتها لم تكن دائما ملتزمة اتجاه تعاليم الديانة، وإنما غالبا ما تقع تجاوزات في صفوفها لا يستنكرها القائمون على الإرشاد وقت وقوعها، حتى تصبح مع الزمن ثابتا اجتماعيا يجد رخصة التداول والممارسة باسم الدين، نظرا لإقرار الفقهاء له في المرحلة الأولى، وليتم الدفاع عنه والتأصيل له في مرحلة ثانية. ولعل هذه المرونة في خرق جدار الفقه المالكي كانت دائما وراء خفة حدة

[1] - ددود ولد عبد الله: نفس المرجع، ص157

الخلاف بين الحاكم غير المثقف دينيا، وفقهاء التقية والمداراة.

أما البعض الآخر من العلماء الموريتانيين فقد حلا له، تحت وهم الاستمرار التاريخي، أن يجعل من الزوايا هيئة اجتماعية دينية نشأت مع نهاية الدولة المرابطية[1] مما سمح لهم بأن يشكلوا السلطة الإشعاعية في مجتمع يتطلب تعدد مراكز الإشعاع الثقافي بقدر تعدد مراكز الاستقطاب السياسي. وهذا ـ ربما ـ ما يفسر رؤية بعض الزوايا لأنفسهم فوق الجميع - وفق مسطرة التقويم الاجتماعي المحلي - نظرا لامتلاكهم الثقافة الدينية.

وللزوايا بالإضافة إلى الدور التربوي القوامة على الأنشطة الإنتاجية، لا سيما تربية المواشي وحفر الآبار، وتعاطي التجارة التي تعتبر أهم نشاط اقتصادي عرفته البلاد، خصوصا مع الاتصالات التجارية بالقوى الأوروبية على السواحل الأطلسية التي تكتفي المجموعة الحسانية ببعض الضرائب والامتيازات الموظفة عليها. وتبقى السمة البارزة لمجموعة الزوايا هي حرمانها من الممارسة السياسية، بل ونفورها في الغالب من الفئة التي تمارسها لدرجة تقارب العداء[2].

ولعل مما يستوجب التنبيه كون حدة التمايز بين حسان والزوايا تبرز بشكل واضح، أساسا في منطقة الجنوب الغربي الموريتاني.

أما في باقي المجال الترابي الموريتاني فإن بعض قبائل الزوايا قد أحكمت سيطرتها بغلبة السلاح مما خولها تأثيرا قويا على الكيانات السياسية المتعايشة معها كما في الشمال مثلا[3].

ونجد الشيء نفسه في الوسط والشوق تقريبا حيث إن استخدام مفهوم الزوايا على أساس المسالمة ونبذ العنف يعتبر مسألة اسقاطية، لأن جل قبائل الزوايا هنالك كانت لها أسلحتها، وحروبها

[1] - ددود ولد عبد الله: نفس المرجع ص:89

[2] - أحمد ولد الحسن: نفس المرجع: ص88

[3] - لاله عيشه بنت البناني: أزمة إمارة آدرار في القرن19. كلية الآداب والعلوم الانسانية، انواكشوط 1987. ص21

الخارجية التي تقف فيها متحالفة مع قوى قبلية أخرى أو وحيدة معتمدة على قوتها الذاتية[1].

وعلى اعتبار الأحكام العامة تبقى صفة العلم، والعلاقة بالعالم الماورائي وممارسة الأنشطة الاقتصادية، أهم سمات مجموعة الزوايا. وإن كانت تشاركها أو تقوم لها على الأعمال اليدوية المجموعات التابعة على اختلاف في أدوارها.

3- **المجموعة التابعة:** تتكون هذه المجموعة من عدة تشكيلات مختلفة من حيث الأصول والأدوار المنوطة بها اجتماعيا، إذ لا سلاسل نسبية مضطردة لها على الطريقة الأدبية المحلية، لأن البحث عن المجد التليد والمرجعية التاريخية التي تشكل المستند لأي قيمة يطمح إليها الراغب في تبوإ موقع على الخريطة الاجتماعية، لم يشكل دافعا لهذه الفئات للتأصيل لنفسها وتاريخها، عفاها من ذلك التعلق بمن هي تابعة له، الملزم عرفيا بتوفير الأمن لها والدفاع عنها وموقعتها سلاليا وفقا للمنظومة التي يرى منها نفسه، ولا يعني نفي الأصول المتحدة لهذه المجموعات التابعة انعدام اتحاد أصول بعضها على الأقل.

ويبقى التضامن العضوي السمة المميزة لهذه المجموعة، حيث يربط بينها بصفة ثقافية مجال التخصص. وتتحدد منزلتها ببراعتها في ذلك الفن وتلادتها فيه، وتنتسب هذه المجموعة في مجملها إلى القبائل الصنهاجية، أو إلى إحدى مجموعتي الزوايا أو المحاربين حين تعرض إحداها لظروف تاريخية تقصيها من مركز السيادة إلى مرتبة التبعية والعيش على الهامش.

لكن هذا التراجع غالبا ما يمكسب الفئات التابعة القدرة على التعايش بين بقايا عادات مجموعتي الأصل. كما يكسبها قدرا من المرونة، ومطاطية في التدبير والسلوك. مما حررها من

[1] - سلاحظ هذه الظاهرة بشكل جلي حين تعرضنا للأنظمة السياسية المحلية.

القيود المضروبة اجتماعيا على مجموعات القرار، وجعل منها عنصرا ديناميكيا في الحياة النشطة دون إيلاء أهمية كبرى للتعلم. غير أن قيدها المعيق هو كون كل فئة من فئات المجموعة التابعة تجد نفسها مربوطة بصلات صريحة أو ضمنية مع إحدى مجموعتي القرار تعتبر المهادات الطواعية أو القسرية التعبير الأصدع عنها.

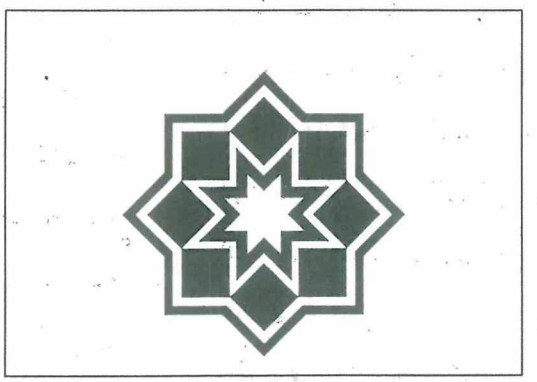

الزوايا وعلاقتهم بالسلطة السياسية في مجتمع "البيظان" ما قبل الاستعمار

محمد الامين ولد سيدي المختار

يحاول هذا العمل[1] مع تواضعه أن يحدد طبيعة العلاقة بين الزوايا باعتبارهم ممثلين للسلطان الروحي والأمراء الحسانيين الذين يمثلون السلطان السياسي أو الزمني في المجتمع "البيظاني" خلال القرنين 18-19م وبشكل أكثر تحديدا بعد نهاية حرب شربيه[2] 1671-1677م والتي جسدت أشد مظاهر الصراع حدة بين الطرفين وصولا إلى نهاية القرن التاسع عشر حيث البدايات الأولى للتوغل الفرنسي في المنطقة، فكيف يمكن تصور العلاقة بين الزوايا وحسان خلال هذه الفترة؟

وقبل تناول مسار العلاقة بين الزوايا والسلطة السياسية في تلك الفترة يجب تفكيك هذه المصطلحات وتحديد دلالاتها في ذلك التاريخ. وعلى هذا الأساس يمكن تحديد الزوايا بأنهم "حملة العلم والدين في هذه البلاد.."[3] والذين شكلوا إحدى الفئات الاجتماعية الهامة في تركيبة مجتمع تلك الفترة وتضم هذه الفئة مجموعات قبلية مختلفة. وهنا يجب أن نميز بين دلالة مصطلح "الزوايا" في هذه البلاد والتي يرمز فيها إلى فئة اجتماعية تضم قبائل مختلفة ذات نزعة دينية يكمن اعتبارها من بقايا المرابطين وبين

[1] للاطلاع على تفاصيل أكثر يمكن الرجوع إلى رسالة أعدها صاحب هذا العمل لنيل شهادة الدراسات المعمقة تحت عنوان قبائل الزايا وعلاقتها بالسلطة السياسية في المجتمع البيظاني: إمارة اترارزة نموذجا، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية 96-97م

[2] - راجع عن هذه الحرب ونتائجها دراسة محمد المختار ولد السعد حرب شربيه وأزمة القرن السابع عشر في الجنوب الغربي الموريتاني، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، انواكشوط 1994م

[3] - الشيخ سيديا باب، إمارتا إدويش ومشظوف، تحقيق إزيد بيه ولد محمد محمود المطبعة الوطنية انواكشوط ص215

دلالة هذا المصطلح في الغرب الإسلامي أو العالم الإسلامي بشكل عام حيث يطلق مصطلح الزوايا على تنظيمات سياسية ودينية مرتبطة بالحركات الصوفية.

أما السلطة السياسية فنعني بها بشكل خاص الإمارات الحسانية التي توزعت المجال المدروس والتي تضم إمارات اترارزة والبراكنة وأبناء يحي بن عثمان وأولاد امبارك. "ثم إمارة إدوعيش، ذات الأصل غير الحساني"*.

والإمارة بشكل عام تمثل نمطا من أنماط التنظيم السياسي الذي ميز تاريخ موريتانيا الحديث والذي يختلف عن التنظيم القبلي "بجمعه تحت سلطة سلالة أميرية واحدة مجموعة القبائل الزاوية والحربية والتابعة"[1]. ولما كان الزوايا أصحاب الوظيفة الدينية وحسان أصحاب الوظيفة السياسية والعسكرية يشكلان الأطراف الفاعلة في مجتمع موريتانيا الأمس فقد كان طبيعيا أن تشهد العلاقات بينهما مراحل من الصراع والصدام الناجم عن محاولة كل طرف منهما تأكيد سيادته وسلطته على الآخر وقد كانت حرب "شر ببه" بين تحالف من الزوايا بقيادة ناصر الدين وتحالف حساني بقيادة كل من هدي ونغماش إحدى أبرز حلقات هذا الصراع والصدام والتي آلت في النهاية إلى هزيمة الزوايا سياسيا وعسكريا وتأسيس حسان المنتصرين في هذه الحرب لإمارات توزعت البلاد في ذلك التاريخ.

وفي ظل هذا الواقع التاريخي الجديد كان من الطبيعي أن يأخذ مسار العلاقة بين الطرفين منحى مغايرا يمكن تلمس ملامحه من خلال معرفة الأدوار التي أصبح كل طرف يؤمنها للآخر. ويبرز هنا بشكل خاص الدور الكبير الذي لعبه الزوايا في تشريع سلطة الأمراء الحسانيين وذلك باعتبارها البديل العملي المتاح في ظل

[1] - محمد المختار ولد السعد "الإمارات والمجال الأميري البيظاني" حوليات كلية الآداب انواكشوط 1990م عدد2، ص36

غياب أي سلطة أخرى يمكنها أن تسد الفراغ السياسي الذي عاشته المنطقة منذ عهد المرابطين وحتى دخول الاستعمار. وهو الفراغ الذي عبر عنه الفقهاء "بالسيبة" والتي تعني من وجهة نظرهم غياب سلطة مركزية قوية قادرة على إدارة مجموعة هذه البلاد. وعلى الرغم من أن هذا الواقع دفع بالبضع من فقهاء الزوايا إلى الدعوى إلى نصب إمام[1] يتولى تطبيق الشرع وإقامة الحدود في هذه البلاد إلا أن فشل محاولة ناصر الدين والتي كانت السبب في اندلاع "شربيه" جعلت العديد من الفقهاء يتخلى عن هذه الفكرة ويتجه إلى مؤسسة الإمارة وذلك بناء على أن "درء المفاسد أولى من جلب المصالح" وان "ليس في الإمكان أبدع مما كان". وعلى هذا الأساس اعتبر الفقهاء سلطة هذه المؤسسة شرعية وهي التي كانت تعاني - إن قليلا أو كثيرا - إحساس صامتا بنقص في الشريعة. وهو ما يتضح من فتوى محنض باب بن اعبيد الديماني ت. 1277هـ بأن "الإمامة تثبت لمن تغلب وإن لم يستوف شروطها وتجب طاعته"[2]

وفي مستوى أخر شكل أعيان الزوايا ووجاءهم نقاط ارتكاز هامة للسلط السياسية الحسانية، وساهموا إلى حد كبير في إدارة الكثير من الأزمات وتسوية العديد من الصراعات والخلافات، ويكفي أن نشير في هذا الصدد إلى دور الشيخ سيدي بن المختار الإبييري المتوفى 1868م في الصلح بين مختلف الأطراف في إمارة الترارزة وبين هذه الإمارة والإمارات المجاورة لها، ونفس الشيء ينطبق على سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم المتوفى 1233ه في تكانت، وصالح بن

---

[1] - كان من أبرز الداعين إلى نصب الإمام في هذه البلاد الشيخ محمد المامي بن البخاري كما هو واضح من خطابه الموه إلى جماعة تشمشه حيث يقول:

أنتم تشمشه المهتدى بمنالكم
ما إن لكم في الأمر قط مسام
قوموا بهذا الدين وابنوا ما وهى
بتطاول الأيام والأعوام
واغدوا إلى نصب الإمام بقرعة
وابغوا بذاك نصيحة الإسلام

[2] محنض باب الديماني، النوازل مخطوطة المعهد الموريتاني للبحث العلمي رقم 1981

عبد الوهاب المتوفى 1271 في الحوض.. وغيرهم كثير. وفضلا عن كل ذلك مثلت الضرائب التي كان الزوايا يقدمونها للسلطة السياسية الحسانية مجالا حيويا لهذه السلط ساهم إلى حد كبير في ترسيخ نفوذها وتدعيم سلطتها. وقد كانت الضرائب المفروضة على الزوايا أو المرتبطة بالأنشطة الاقتصادية التي يزاولونها هي أهم الضرائب في النظام الجبائي الحساني، ومن أهم هذه الضرائب "الثلث"[1] و"وصلني"[2] و"آمكبل"[3].. وقد تمكنت السلطة الحسانية بواسطة هذه الضرائب من الاستفادة من فائض إنتاج المجموعات التابعة لها والتي كان الزوايا أكثرها حيوية من الناحية الاقتصادية.

وفي الاتجاه الآخر نجد أنه من ضمن الأدوار التي أمنتها السلطة السياسية الحسانية للزوايا ومن أكثرها أهمية وإلحاحا دور هذه السلط في توفير الأمن للزوايا الذين جردت مجموعات منهم من السلاح، وبقيت عرضة للسلب والنهب، وأصبحت في حاجة ماسة لمن يحميها وقد كانت الفئة الحسانية عموما والسلط الأميرية على وجه الخصوص هي وحدها القادرة على تأمين هذا الدور والقيام بهذه المهمة، وذلك بحكم نزعتها الحربية وارتباطها بمثل الفروسية وفنون القتال. ونجد صدى لذلك الدور في إشادة الزوايا بالأمراء الذين لعبوا دورا كبيرا في هذا المجال، فقد أورد صاحب الوسيط أمثلة عدة على دور السلطة السياسية التروزية ممثلة في أبناء أحمد بن دامان في الدفاع عن الزوايا وحمايتهم حيث يقول: "..أبناء أحمد بن دامان يدافعون عنهم (يقصد الزوايا) الظلمة ويخاطرون بأنفسهم في ذلك ويرونه فخرا لهم (...) وقال بعض الزوايا: يومان لا ظلم فيهما يوم

---

1 – الثلث: ضريبة تتمثل في تخصيص ثلث مياه الآبار التي يملكها الزوايا لحسان

2 – وصلني: ضريبة تتمثل في تمل ضيافة كل عابر سبيل من حسان من طرف الزوايا مدة ثلاثة أيام وإيصاله إلى اقرب حي وهي ضريبة الثلث من نتائج حرب شريبه.

3 – آمكبل: ضريبة تفرض على تجار الملح وكذلك السفن التجارية الأربية وهي خاصة بالامير

القيامة إذ يقول الله تعالي: "لا ظلم اليوم..." الآية. ويوم ينظر الإنسان إلى خيم أبناء أحمد بن دامان لأنه يكون يومئذ آمنا"[1].

كما يذكر محمد بن أمينو بن الفراء التندغي ت. 1926م أمثلة عدة عن شيوع الأمن في منطقته لعل أقواها تعبيرا وجود عجوز من الإماء يوضع عندها كل ما في البلد من الثروة ولا تملك وسائل حماية ولم تأت في يوم من الأيام تشتكي ظلما من أحد[2] وقد مثل الأمن بالنسبة للزوايا المطلب الأكثر إلحاحا وبشكل خاص تأمين المبادلات التجارية مع الأوروبيين والتي كان الزوايا المستفيدين الرئيسيين منها.

وهكذا ومن خلال ما سبق يتضح أنه نتيجة لأهمية الأدوار التي أمنها كل طرف للآخر انطبعت العلاقات بين الزوايا وحسان خلال القرنين 18-19م بنوع من التحالف الضمني القائم على التبعية المتبادلة بينهما وهو ما يعني التخلي عن علاقات الصراع التي ميزت علاقاتهما خلال القرن السابع عشر، والتي مثلت "شربه" التعبير المركز عنها ذلك أن الزوايا بحكم امتلاكهم طاقات مادية وايديولوجية هامة شكلوا القاعدة الاقتصادية والسياسية التي يقوم عليها نفوذ الإمارات الحسانية، هذه الأخيرة التي وفرت للزوايا ما لم يكن باستطاعتهم الاستغناء عنه وهو تأمين أرواحهم وممتلكاتهم في بلاد وصفت بأنها بلاد "سائبة".

---

*مجلة الموكب الثقافي

---

[1] - ابن الامين، الوسيط في تراجم شنقيط، القاهرة 1911م ص184-185

[2] - راجع فتوى أوردها محمد المختار ولد السعد في مقاله: "الإمارات والمجال الأميري البيظاني" حوليات كلية الآداب. م.س.- ص49

مكتبات المخطوطات في مدينة تجكجة

إسلـــم' بن السبتـــــي

المدرسة العليا للتعليم

شهدت موريتانيا في سنواتها الأخـيرة حركة دائبة من أجل إحيـاء الـتراث المخطوط والعناية به، باعتباره رافـدا قويا من روافد الثقافة، وعنصرا مـهما يتم اسـتلهامه مـن طـرف العلمـاء والمثقفين والبـاحثين فـي مكونـات الحضارة العربية والإسـلامية، فـي هـذه البلاد.

وانطلاقا مـن هـذا العنصـر فـإن موريتانيـا أصبحـت محـط رحـال المهتمين بالتراث عامة والمخطوط منه بخاصة، وقد تجلى ذلك الحضور فـي مؤسسات البحث الكبرى كما هو الحال بالنسبة لليونسكو، ومعهد المخطوطـات العربيـة، ومؤسسـة الفرقـان الخصوصية.. بالإضافـة إلـى عـدة منظمات فرنسية تهتم بالمخطوطـات ومكتبات الصحراء.

ومن هنا فإن الحاجة غدت ضروريـة لدفع خريطة متكاملـة لمخطوطـات الوطن التي قدرتها المؤسسة الوطنيـة الوحيدة المختصة في الموضوع :مـا يزيد على 40000 مخطوط[1].

وتنفيذا للتعاون بين المنظمة العالميـة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسـكو)، واللجنة الوطنيـة للتربيـة والثقافـة والعلوم في موريتانيا من جهة والمعهد الموريتاني للبحث العلمي مـن جهـة أخرى، قامت بعثة علمية بزيارة إحدى ولايات الوطن وهـي ولايـة تكـانت وعاصمتها تجكجة، وقد اطلعـت مـع هذه البعثة على المخزون الثقافي الـذي تضمه تلك المدينة التي تعتـبر قلعـة

[1] بعثتي المعهد الموريتاني للبحث العلمي التي أنشئت سنة 1974 بالثقافة الموريتانية المكتوبة والمخطوطة وضمن هذا المعهد أنشئ قسم خاص بالمخطوطات ويضم مكتبة كبيرة تحتوي على آلاف المخطوطات، جمعت من عدة أماكن في الوطن.

صامدة من قلاع الثقافة الموريتانية. وهي عاصمة العلامة سيد عبد بن الحاج إبراهيم المتوفى سنة 1233هـ. فقد أحضر إلى تلك المدينة مكتبة كبيرة تضم آلاف المخطوطات، وذلك بعد رحلة طويلة إلى الحج، قادته إلى عدة حواضر عربية. وبعد عودته أنشأ محضرة عم إشعاعها جميع أنحاء المنطقة وانتشر إلى باقي أرجاء البلاد. وقد ترك بعد وفاته عدة مؤلفات طالت جميع مناحي التخصصات التي كان يدرسها بمخظرته. وقد اشتهر في علم الأصول بصفة خاصة وألف فيه كتابه الشهير مراقي السعود بمبتغى مراقي الصعود، وقد طبع هذا الكتاب منذ عدة سنوات بوزارة الأوقاف بالمملكة المغربية.

ونتيجة لهذا المد الثقافي شهدت المدينة توسعا في مكتباتها فأحضرت المخطوطات من عدة أماكن في المشرق وفي المغرب، وهكذا اطلعنا في عين المكان، على خطوط المؤلفين المشارقة والمغاربة وعلى مخطوطاتهم الأصلية، وهو شيء نادر تفخر به هذه المدينة. ولكي نفصل في الموضوع فإننا سنحاول هنا بسط القول حول أهم مكتبات المخطوطات التي وقفنا عليها ونذكر بعض خصوصياتها وأهم مخطوطاتها.

1 - مكتبة لمرابط / الطالب محمد

تعتبر هذه المكتبة من أكبر المكتبات التي وقفنا عليها، وهي تمتاز بنوع من التنظيم حيث وضعت مخطوطاتها في دواليب وصنف معظم محتوياتها، وقد سجلنا من هذه المكتبة ما يزيد على مئتين وسبعين مخطوطا تناولت جميع أنواع العلوم، فقها وحديثا ولغة وطبا وفلكا. وقد لفت نظري على سبيل المثال لا الحصر:

- كتاب في الأدوية المفردة مجدولة، لإبراهيم بن أبي سعيد ألفه صاحبه سنة 633هـ، وقد نقله من خط مؤلفه محمد بن محمد بن أيوب القصبي سنة 944هـ، بخط نسخي.

والكتاب على شكل معجم، وينتهي بحرف الغين. وهذا نموذج منه، في

حرف الفاء: "فرصاد: هو التوت ذكر في حرف التاء."

- حسن التوسل في صناعة الترسل، لشهاب الدين، أبي الثناء محمود/سليمان الحلبي الحنفي المتوفى 725هـ وقد كتب عليه أنه نسخ سنة 538هـ، وهو بلا شك خطأ من أخطاء النساخ ويؤيد ذلك تاريخ وفاة المؤلف كما ذكرها صاحب كشف الظنون: 666/1.

- التصريح بمضمون التوضيح لخالد الأزهرى المتوفى سنة 905هـ وقد تم نسخه سند 896هـ.

وهذه المكتبة تحتفظ بعدة مؤلفات لمؤلفين مغاربة في علم الوقت والحساب الزمني، كما تمتاز بالتركيز على مؤلفات العلامة سيد عبد الله الحاج ابراهيمو ويقوم عليها رجل علم ودين، يقدر العلماء وينزلهم منازلهم ويعتني بتراث آبائه وأجداده، وذلك برعايته لتلك المكتبة ولزوارها من الباحثين الوطنيين والأجانب.

2- مكتبة محمد عبد الله ولد أحمد غالي:

تعتبر هذه المكتبة كسابقتها، من حيث الاعتناء بمخطوطاتها وترتيبها وتقديمها للقراء والباحثين، ويقوم عليها معلم يشتغل بالتدريس في المدينة، إلا أن محتوياتها تمتاز بضعف الورق وخاصة المخطوطات المشرقية، وقد سجلنا من هذه المكتبة ما يزيد على مائة وسبعين مخطوطا طالت جميع أنواع العلوم.

3- مكتبة محمد محمود بن صالحي:

هذه المكتبة يملكها إمام أحد مساجد المدينة، وهو رجل علم أبانت عنه محتويات المكتبة، حيث جمع مئات المخطوطات في علوم القرآن والسيرة النبوية والفقه والحديث واللغة وغيرها. وقد سجلنا من هذه المكتبة ما يزيد على مائة وأربعين مخطوطا ومن أبرز تلك المخطوطات:

- قواعد الأصول: لأبي عبد الله البقوري السبتي

- منهج السالك على ألفية ابن مالك: لعلي بن محمد الأشموني المتوفى 900هـ

- شرح على نظم أبي مقرع: للورزازي، سيدي محمد بن محمد بن عبد الله بن حسين الدليمي الورزازي، ألفه في 19 رمضان 1164هـ.

والناسخ: محمد بن على بن محمد بن أحمد الصانع الأطاري سنة 1263هـ، وهي على شيء من الترتيب حسب العلوم، ولكنها تفتقر إلى فهرسة علمية تضم جميع محتوياتها.

4ـ مكتبة الطالب أحمد بن حنكوش

وقد وجدنا هذه المكتبة بحالة سيئة، وأغلب محتوياتها توجد في صناديق، انتشلت من بين ركام المنازل المتداعية، وكانت هذه المكتبة لرجل العلم والقضاء الطالب أحمد بن حنكوش المتوفى 1273هـ، وهو تلميذ العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، وقد تولى القضاء بعد وفاته، وكانت مكتبته تعد رافدا من روافد الثقافة وعونا لصاحبها على أداء مهمته الصعبة، وقد حفلت بالمخطوطات القيمة التي أحضرها صاحبها من عدة أماكن، وقد سجلنا من هذه المكتبة ثلاثا وستين مخطوطا من أبرزها:

- مجمع الأمثال، لأبي الفضل، أحمد بن محمد بن أحمد الميداني المتوفى 518هـ

- كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك[1]: لأبي بكر بن محمد بن الحسن الحضرمي المرادي المتوفى سنة 489هـ.

وتختلف هذه النسخة عن النسخ التي وصفها محققا كتاب السياسة أوالإشارة في تدبير الإمارة: رضوان السيد وسامي النشار، سواء في العنوان أو في الشكل حيث أنه توجد في كل ورقة من مخطوط تجكجه عشرة أسطر. وقد استعمل ناسخ تلك المخطوطة عدة

[1] وهذا العنوان مغاير لما طبع في بيروت والدار البيضاء فقد طبعه الدكتور رضوان السيد تحت عنوان: كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة، وطبعه الدكتور سامي الشناو تحت عنوان: كتاب السياسة أو الغشارة في تدبير الإمارة.

ألوان خضراء وصفراء وسوداء، مع تطريز حسن.

كما نقل نفس الناسخ كتابا آخر بنفس الخط هو:

- كتاب المذهبة في شيات الخيل ونعوتها، لأبي المقاصد الاندلسي.

- بدايته: أقول أما بعد أحمد الله

حمدا يدوم لا إلى تناهي.

- شرح مجمع البحرين: عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين بن ملك المتوفى 801هـ

- نزهة الأفكار في أنواع الأذكار: سيذ محمد بن الطيب بن مسعود بن أحمد المزني.

- الفوائد الشنشورية في شرح المنظمة الرحبية: عبد الله بن محمد بن علي العجمي المتوفى 885هـ،

- كتاب البسملة: لأبي يحي زكريا الأنصاري المتوفى 926هـ

5 - مكتبة أحمد ولد محمد محمود بن سيد عبد الله:

لقد شارك صاحب المكتبة في بث الثقافة ونشر العلم، وذلك من خلال تدريسه وتأليفه في عدة مناح معرفية، وقد ساعدته على ذلك مكتبته العامرة بالمخطوطات، تعرضت هذه المكتبة في الأيام الأخيرة من حياة الرجل إلى تلف كبير أصاب جانبا مهما منها، كما أن العارية قد بددت جزءا لا بأس به من محتوياتها، وقد أخبرنا بذلك حينما زرناها، واطلعنا على ما هو موجود منها، وقد سجلنا منها أربعا وعشرين مخطوطا، تناولت جوانب مهمة من لغة وحديث وفقه.. ومن أبرز تلك المخطوطات:

- شرح لامية العجم: مؤلف مجهول

- الناسخ: محمد بن محمد بن ابراهيم بن أحمد بن قاسم الشاطبي، سنة 1134هـ

- حاشية الجرجاني على السعد التفتراني: محمد بن على المعروف بالشريف الجرجاني المتوفى 816هـ

- قاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي المتوفى 817هـ الناسخ: محمد بن عبد العزيز بن غازي

- شرح مختصر خليل: عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المتوفى 1099هـ، الناسخ: محمد المختار بن عمر بن علي بن تاشفين سنة 1181هـ.

6 - **مكتبة محمد محمود/ ببه:**

وهذه المكتبة يمتلكها أحد أبناء المدينة ممن امتهن القضاء، فهي مكتبة عالم متطلع بعلوم العقل والنقل، وقد استفدنا كثيرا مما قدمه لنا من معلومات إبان زيارتنا لمكتبته، وتحتوي هذه المكتبة على نفائس من المخطوطات، اخترنا منها عشرين مخطوطا، من أبرزها:

- شرح التهذيب في المنطق: جلال الدين، محمد بن أسعد الصديقي الدواني، المتوفى 907هـ.

- شرح الإيساغوجي: زكريا الأنصاري الكاتي المتوفى 926هـ الناسخ: جلال الدين بن عبدالرحمن بن جلال السمنودي، سنة 978هـ بالمدرسة الباسطية.

- شرح التهذيب في المنطق، العلامة الخبيصي، عبد الله بن فضل الله، المتوفى سنة 1050هـ.

- بيان النسبة بين النقائض: برهان الدين إبراهيم بن عرب شاه الاسفراييني.

7- **مكتبة المصطفى بن محمد محمود بن حوبت**

يعتبر صاحب هذه المكتبة من حفاظ القرآن الكريم، والمتضلعين بعلومه. وقد احضر لذلك مكتبة كبيرة، طالت جميع مناحي المعرفة، وهي تحتاج إلى كثير من التنظيم والترتيب، ومع ذلك فهي تساهم في إثراء المدينة ومدها بالمصادر القيمة في عدة مناحي ثقافية، وقد سجلنا من هذه المكتبة ما يزيد على ثلاثين مخطوطا من بين مئات المخطوطات التي تحتاج إلى انتشال عاجل، وإلا فإن الضياع

سيتسرب ويستشري في معظمها؛ ومن أهم مخطوطاتها:

- الاكتفاء، في المغازي النبوية: لأبى الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الحميدي المتوفى 634هـ.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين، أبو عسيد، عبد الله بن عمر، البيضاوي المتوفى 685هـ

- كشف الحجاب عن ألفاظ مرشدة الطلاب: محمد الأمين بن محمد المختار الواداني.

8 – مكتبة البرار بن المصطفى:

وكان لهذه المكتبة دور ثقافي كبير، تجلى في أهمية مخطوطاتها وندرتها، ويظهر أنها كانت مكتبة لغوية متخصصة، جلب صاحبها عدة مخطوطات تناولت جميع التخصصات الأدبية واللغوية. ومن أبرز مخطوطات هذه المكتبة:

- إظهار صدق المودة في شرح البردة: أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد التلمساني، المعروف بابن مرزوق الحفيد المتوفى 842هـ تاريخ التأليف 810هـ، تاريخ النسخ 1124هـ

- الديباج المذهب لإبراهيم بن علي بن فرحون المتوفى 799هـ تاريخ التأليف 761هـ تاريخ النسخ 1183هـ

– مختصر خليل: عبد الباقي/ يوسف الزرقاني المتوفى 1093هـ بخط المؤلف سنة 1084هـ.

- خزانة الأدب: (في مجلد كبير) تأليف عبد القادر بن محمد البغدادي المتوفى سنة 1093هـ. خلى من تاريخ النسخ.

وإلى جانب تلك المكتبات نذكر أسماء بعض المكتبات الأخرى التي زرناها وسجلنا منها عدة مخطوطات، وهي تنضم إلى الدور الثقافي الذي كانت هذه المكتبات تساهم به في إظهار وإبراز مكانة مدينة تجكجة، باعتبارها إحدى المدن الثقافية الكبرى في موريتانيا، ولعلها بذلك بدأت تزاحم المدن التاريخية المعروفة في إشعاعها الثقافي ودورها الحضاري في نشر

الثقافة العربية والإسلامية في جميع أنحاء البلاد. وهذه المكتبات هي:

- مكتبة أحمد بن الزين
- مكتبة حمودي بن المهابه

ويوجد في هذه المكتبة الأخيرة، الجزء الرابع من صحيح البخاري، وقد كتب في مائة ورقة من رق الغزال، وهي تحفة نادرة ولا يوجد في البلاد مثلها سوى كتاب مروج الذهب للمسعودي، يمتلكه المعهد الموريتاني للبحث العلمي بانواكشوط نخسته الوحيدة.

مكتبة محمد محمود بن الإمام بن عبد القادر

- مكتبة شيخنا بن محمد أحيد
- مكتبة أحمد جدو بن الطالب محمد
- مكتبة إسلم بن اعبيد الرحمن
- مكتبة محمد يحظيه ولد البح
- مكتبة سيد جعفر بن بادي
- مكتبة الشيخ السالم بن الشيخ محمد محمود بن النين.

هذه هي جملة المكتبات التي وقفنا عليها في مدينة تجكجة. وهذه المكتبات تحتاج في غالبيتها إن لم نقل كلها إلى عمل جاد، يصون محتوياتها من الضياع الذي استشرى في معظمها، وإلى انتشال ما يمكن انتشاله، بالتصوير أولا وبالفهارس ثانيا، ثم العناية بتلك الفهارس وتثبيت الكتب تبعا لتلك الفهارس حتى يمكن الاستفادة منها والرجوع إلى المعلومات المطلوبة من قبل الباحثين. وعلى الرغم من أننا سجلنا ما يزيد على ألف مخطوط من هذه المكتبات آملين أن يكون نواة لفهرس علمي جاد، إلا أنه لابد من تثبيت ما سجلناه في أماكنه، ورفعه في صورة تمكن الباحث من الرجوع إليه.

أما نشر ما قمنا به في تلك المدينة من فهارس لمخطوطاتها فإنه السبيل الوحيد الذي يضع بين يدي الباحث بضاعة يمكن الاستفادة منها والرجوع لها عند الحاجة.

الأسس الدستورية للإدارة المحلية في موريتانيا

الباحث: محمد الأمين ولد اشبيه

مقدمة:

مرت موريتانيا بثلاث تجارب دستورية كانت الأولى في ظل الحكم الذاتي الذي حصلت عليه البلاد من المستعمر الفرنسي 1958 وذلك بعد صدور دستور الجمهورية الخامسة في فرنسا سند 1958 والذي أعطى قدرا من الاستقلال للمستعمرات الفرنسية والتي من ضمنها موريتانيا. وهكذا حصلت موريتانيا على الحكم الذاتي والذي خول المستعمرات الفرنسية إصدار دساتير وطنية، وهكذا صدر في موريتانيا دستور في 22 مارس 1959 والذي نص على التعددية السياسية والنظام النيابي؛ وقد عالج الإدارة المحلية في مادة وحيدة هي المادة 46 وفي التجربة الثانية وهي التجربة التي برزت بعد حصول البلاد على الاستقلال في 28 نوفمبر 1960 حيث تم إلغاء دستور 1959 وإصدار دستور جديد في 20 مايو 1961 والذي أقام نظاما رئاسيا غير متوازن لصالح رئيس الجمهورية، وقد عالج الإدارة المحلية في مادتين هي المواد 33 والمادة 53.

وأخيرا التجربة الثالثة والأخيرة التي ظهرت بصدور دستور 20 يوليو 1991 والذي أقام المؤسسات الدستورية ونص على التعددية الحزبية، وقد عالج هذا الدستور الإدارة المحلية أذ نص على نظام الإدارة المحلية وذلك في المواد 57 والمادة 98 الخاصة بالمجموعات الإقليمية.

وهكذا نجد ثلاثة أنواع من الأسس الدستورية في الدساتير الموريتانية الثلاثة وهذه الأسس هي كالأتي:

- الأسس الدستورية للإدارة المحلية في دستور 22 مارس 1959
- الأسس الدستورية للإدارة المحلية في دستور 20 مايو 1961
- الأسس الدستورية للإدارة المحلية في دستور 20 يوليو 1991

أولا: الأسس الدستورية المحلية في دستور 22 مارس 1959:

لقد عالج دستور 22 مارس الأسس الدستورية للإدارة المحلية في المادة 46 والتي تنص على ان المجموعان المحلية للدولة هي الدوائر والبلديات، والبلديات تدار من طرف مجالس منتخبة حسب ما ينص عليه القانون.

II - أنواع المجموعات المحلية:

لقد قسم دستور 22 مارس 1959 المجموعات المحلية إلى قسمين هما الدوائر والبلديات ولم يذكر إمكانية خلق وحدات جديدة بالرغم من أن البلاد كانت تمر بظروف سياسية واجتماعية واقتصادية تدعو إلى خلق وحدات جديدة أو إمكانية خلقها[1] .

أ- الدوائر:

باكتساب موريتانيا صفة المستعمرة الفرنسية سنة 1920 تم تقسيم البلاد إلى دوائر بعضها مدني والآخر عسكري[2] حسب الأهمية الاستراتيجية ولكل دائرة عاصمتها وتتبعها قطاعات فرعية ويحكمها حاكم يعتبر بمثابة المشرع والقاضي[3] وهذه الدوائر هي:

الدوائر المدنية:

وتتم إدارتها من طرف موظفين مدنيين يمثلون السلطة الاستعمارية، ويشرفون على المسائل السياسية والاقتصادية والأمنية للدائرة بالتعاون مع رؤساء المناطق والمراكز، وكانت هذه الدوائر

[1] راجع: جمال ولد حمزة، الأسس الدستورية للإدارة المحلية في موريتانيا بحث دبلوم دراسات عليا في القانون، معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة 1997 ص6

[2] راجع يحفظ بن محمد يوسف، الادارة المحلية في موريتانيا بين الكفاءة والنهاية، رسالة درجة الماجستير في العلوم السياسية، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة 1996 ص12

[3] راجع جمال ولد حمزة، المصدر السابق، ص6

تشمل كلا من ترارزة، لبراكنة، كوركول، وكيديماغا.

1- الدوائر العسكرية:

ويرأسها إداريون عسكريون يؤدون إلى جانب المهام العسكرية بالأساس مهام أخرى إدارية مدنية، وتمتد سلطتهم إلى المقاطعات والمراكز التابعة للدائرة.

هذه الدوائر العسكرية كانت تمثلها دوائر لعصابة وعاصمتها كيفة وتضم تامشكط التي كانت تسير من طرف موظف مدني، ودائرة افديرك التي كان مركزها انواذيبو إضافة إلى دوائر آدرار وتكانت وإكجوجت[1].

ويمكن القول أن إدراج الدوائر ضمن المجموعات المحلية هو تأكيد على أن الدوائر قد استطاعت أن تخدم الدولة أثبتت جدوائيتها إبان فترد الاستعمار.

وهكذا قسم دستور 22 مايو 1959 البلاد بموجب القرار 162 الصادر في 1959/12/13 إلى سبع دوائر هي الحوض الشرقي، الحوض الغربي، لعصابة. كوركول، لبراكنة، آدرار، واترارزة[2].

ب- البلديات:

البلديات هي المستوى الثاني من أنواع المجموعات المحلية في دستور 22 مارس 1959، وقد عرفت موريتانيا البلديات قبل الاستقلال حيث تمت إقامة ثلاثة بلديات هي كالآتي:

1- بلديات حضرية: تم انشاؤها في بوكي، أطار، كيهيدي، روصو، وانواكشوط.

2- بلديات ريفية: وقد أنشئت على مستوى المراكز بالقانون رقم 60-135 بتاريخ 1960/7/25.

3- بلديات نموذجية: وقد أنشئت بالقانون رقم 63667 بتاريخ 1963/1/18 في كل من (لعيون، ازويرات، انواذيبو)[3].

[1] راجع يحفظ بن محمد يوسف، مصدر سابق، ص12

[2] راجع جمال ولد حمزد، مصدر سابق، ص6

[3] راجع يحفظ ولد محمد يوسف، مصدر سابق، ص25، 26

وقد ظلت هذه البلديات موجودة إلى أن تمت تصفيتها وإلغاؤها بموجب الأمر رقم 686121 الصادر بتاريخ 12 إبريل 1968 والقانون رقم 68669 الصادر بتاريخ 4 مارس 1968[1].

والحقيقة أن دستور 1959 بإضافته البلديات إلى الإدارة المحلية أعطى الفرصة أمام السكان المحليين لخدمة أنفسهم، إضافة إلى خلق جو ديمقراطي ساعد على حصول البلاد على الاستقلال التام 1960.

إن هذين المستويين من مستويات المجموعات المحلية اللذين نص عليها دستور 1959 مأخوذان مباشرة من التنظيمات الإدارية الفرنسية إلا أن الفرق يظهر من خلال الغموض الذي اكتنف المادة 46 مقارنة بالمادة 72 من الدستور الفرنسي الصادر 1958[2].

[1] راجع الأمر القانوني رقم 686121 والقانون رقم 68669

[2] * المادة 72 من الدستور الفرنسي تنص على ان الوحدات الإقليمية في الجمهورية في البلديات والمحافظات وأقاليم ما وراء البحار وكل وحدة إقليمية أخرى تنشأ بقانون. راجع جمال ولد حمزة، مصدر سابق، ص7.

II – تشكيل مجالس المجموعات المحلية:

الشرط الأساسي لإقامة إدارة محلية حقيقية هو أن يتم انتخاب مجالس المجموعات المحلية عن طريق الانتخاب المباشر.

وتوجد طرق كثيرة في الدساتير المختلفة تبين كيفية تشكيل هذه المجالس تتراوح بين إطلاق العنان لهذه المجالس أو اشتراط أن يتم انتخابها بالاقتراع العام المباشر أو أن يتم تعيين نصف الأعضاء وانتخاب النصف الثاني[3].

يلاحظ ان الدستور الموريتاني الأول طبق الطريق الثالث أي جمع بين التعيين والانتخاب حيث يتم تعيين مجالس المجموعات المحلية بالنسبة للدوائر أما بالنسبة للبلديات فإن مجالسها تتم عن طريق الانتساب، ويرجع السبب في تعيين مجالس الدوائر أساسا إلى الطبيعة الإدارية

[3] راجع جمال ولد حمزة، نفس المصدر، ص8

للدوائر بصفتها ممثلة للسلطة المركزية مباشرة.

أ- إدارة البلديات عن طريق الانتخاب:

نص الدستور على أنه يتم تشكيل المجلس البلدي المحلي عن طريق الانتخاب وذلك لإعطاء الفرصة للسكان المحليين لاختيار ممثليهم بحرية تامة، ويكتسب الطابع الانتخابي أهمية بالغة لما يحققه من توافق بين المفهوم المعاصر الديمقراطية ويستجيب لمتطلباتها حيث يعتبر تشكيل المجالس المحلية بالانتخاب المباشر شرطا أساسيا لقيام لامركزية محلية حقيقية.

واحتذاء بالدستور الفرنسي 1958، والحياة القانونية في فرنسا والتي انعكست بشكل مباشر على موريتانيا إبان تلك الفترة أخذ الدستور الموريتاني بالطابع الانتخابي إلا أن هذا الاخذ يعتبر تأثرا أكثر من كونه وعيا حقيقيا بأهمية الإدارة المحلية نفسها ويرجع ذلك إلى طبيعة المجتمع الموريتاني الذي لم يكن يعرف وقتها مفهوم الدولة ولم يع أهمية المشاركة في الحياة الديمقراطية إلا في مناطق محدودة تمثل أهمية خاصة للمستعمر، خلاف المناطق الشرقية والشمالية والتي لم تعرف نظام الإدارة المحلية[1].

ب- اختصاص المشرع بوضع النظام الانتخابي:

لقد اكتفى دستور 1959 بذكر أنواع المجموعات المحلية وتشكيل مجالسها، لكنه لم ينص على تمتع هذه المجموعات بالشخصية المعنوية واختصاصاتها ومواردها والضمانات التي يتمتع بها أعضاء المجلس المحلي:

فقد اكتفى ببيان أنواع الوحدات المحلية دون إعطاء الفرصة لخلق وحدات جديدة واكتفى كذلك بالنص على أن مجالس البلديات ومجلس الدوائر بالتعيين وأن كنا نحبذ الجمع بين

[1] راجع، جمال ولد حمزة، مصدر سابق، ص9

التعيين والانتخاب في تشكيل مجالسها تاركين الوصاية والرقابة للسلطة المركزية[1].

أما بخصوص النظام الانتخابي فقد نص دستور 1959 على أنه من اختصاص المشرع فهو وحده المختص بوضع هذا النظام، وقد يكون ذلك طبيعيا في ظل التأثر بالأسلوب الفرنسي. والحقيقة أن الإدارة المحلية في ظل هذا الوضع سوف تتأثر بما يضعه المشرع سلبا أو إيجابا هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن تأثر دستور 1959 بدستور فرنسا 1958 لم يكن على إطلاقه لأنه لم ينص على إمكانية إنشاء وحدات إقليمية أخرى ولم يشمل النوعين بالانتخاب تاركا ذلك للمشرع.

لكن الخلفية التاريخية للديمقراطية في البلدين لا يمكن أن تقاس على أنها متشابهة وبالتالي يجب الحذر من تطبيق الأسلوب الفرنسي دون النظر إلى الواقع الموريتاني المختلف لما في ذلك من إهدار للنتائج التي يمكن أن تتحقق من خلال الأخذ بهذا الأسلوب.

ونخلص إلى القول بأن دستور 1959 لم ينص على الأسس الكافية لخلق إدارة محلية فعالة وذلك للأسباب الآتية:

1- إذا أخذ المشرع الموريتاني بالأسلوب الفرنسي فإن ذلك سيترتب عليه إهدار الأسس والمقومات الأساسية التي سوف تتأثر سلبا بما يضعه المشرع العادي من قيود على الإدارة المحلية.

2- إذا حاول المشرع ترسيخ الإدارة المحلية وذلك من خلال النص على أسس تفصيلية قد يكون المنّاخ السياسي والاجتماعي لا يسمع بذلك.

ثانيا: الأسس الدستورية للإدارة المحلية في دستور 20 مايو 1961:

نظرا للتفاعلات السياسية والصراعات الحزبية التي سادت البلاد أثناء فترة الاستقلال الداخلي الذي حصلت عليه

[1] راجع، جمال ولدحمزة، نفس المصدر السابق، ص9

البلاد بعد صدور قانون الإطار 1957 وتداعياتها حصلت موريتانيا على الاستقلال التام في 28 نوفمبر 1960 ويبدو أن المناخ السياي في ذلك الوقت لم يكن في صالح النظام النيابي الذي أقره دستور 1959[1].

وهو ما يجعل رئيس الوزراء في تلك الفترة الأستاذ المختار بن داداه الذي أصبح رئيس الجمهورية بعد الاستقلال يسعى لتقويض النظام النيابي وإرساء نظام الحزب الواحد على غرار ما هو سائد في معظم الدول الإفريقية المستقلة آنذاك عن فرنسا، وهكذا تم إصدار دستور جديد في 20 مايو 1961 أقام نظاما رئاسيا غير متوازن لصالح رئيس الجمهورية[2].

وقد تناول هذا الدستور الإدارة المحلية في بابه السابع تحت عنوان "حول المجموعات الإقليمية، وذلك في المادة 53 والتي تنص على أن المجموعات الإقليمية للدولة هي الولايات ومنطقة انواكشوط".

كما تناولها في الباب الرابع حيث تنص المادة 33 على القواعد المتعلقة بالتنظيم العام الإداري للدولة يحددها القانون[3].

(يتواصل)

[1] راجع جمال ولد حمزة، مصدر سابق ص11

[2] راجع يحفظ بن محمد يوسف، مصدر سابق، ص1

[3] راجع جمال ولد حمزة، مصدر سابق ص11

آثار التشويق في الدرس التربوي

(قراءة في تأثير العبارة والأسلوب)

محمذن بن أحمد بن المحبوب
المفتشية العامة للتعليم الثانوي والفني

إن تأسيس الأفئدة والقلوب مطلوب لاسيما بالنسبة للطلبة الذين أتعبهم الجد وأرهقهم الاستذكار، فهم بحاجة إلى مشوقات تزود شعورهم المنهك بالاجتهاد طرفة،أتفيد طبعهم المكدود بالجد راحة لذلك تفنن المربون في أساليب البيان وطرائق الإفهام معولين كثيرا على التشويق عبر الأقوال حيث تتنوع العبارة والأسلوب وتتنوع العبارة والأسلوب وتتعدد الأسئلة والحوارات.

وفي هذا السياق يتنزل هذا المقال المقتضب الذي يسعى إلى إبراز عناصر التشويق بالأقوال بادئا في الأول باستنطاق العنوان"آثار التشويق في الدرس التربوي"فهذه الصياغة مؤلفة من أروع كلمات وردت عبر تركيبين نحويين أحدهما إضافي"آثار التشويق"والآخر نعتي "الدرس التربوي" قد توسطت بينهما أداة الجر في التي جاءت محددة لطبيعة الموضوع ومجال اهتمامه فما المقصود بآثار التشويق؟ وما معنى الدرس التربوي؟ وهل يمكن أن نلتمس لظاهرة التشويق جذورا في الجهود التربوية التراثية؟ وأخيرا كيف يستطيع المربون أن يحببوا إلى الطلبة القراءة والدرس ويربطهم بالمثابرة والجد؟

ذلك ما نسعى إلى الإجابة عنه عبر هذه الوريقات موجزين القول فيه عبر

محورين أولهما سميناه المحددات الاولية، وثانيهما أطلقنا عليه محور التشويق عبر الأقوال:

أولا: المحددات الأولية

في إطار هذه المحددات ستعمل على استنطاق وحدات العنوان، لنتعرف بعد ذلك على أدبيات التشويق وأهميتها في عمل التدريس دون أن ننسي الإشارة إلى اختلاف مواقف المربين من التشويق.

1 - استنطاق العنوان:

وفي هذه النقطة سنفكك وحدات العنوان فنقول إن التركيب الإضافي "آثار التشويق" يتألف من كلمتين "آثار"، و"التشويق" فآثار جمع أثر وهو لغة العلامة وبقية الشيء[1] أما التشويق فهو لغة مصدر شوقه تشويقا هيج شوقه وجعله يزداد تعلقا بالأمر وارتباطا قال في اللسان وشوقني هاجني فتشوقت، ومنه شاقني حسنها يشوقني إذا هيج شوقي[2] أما أصحاب المعجم الوسيط فيكتفون بالقول إن التشوق مصدر شوقه إليه إذا رغبه فيه وحببه إليه[3]

أما في الاصطلاح فان التشويق "قوة تدفع الفرد نحو هدف معين وتحدد تصرفاته"[4] وقد عرفه بعضهم بأنه "استثارة ما في النفس من الميول المختلفة إلى الاهتمام بما يعرض عليها من أنواع المعارف والمهارات حتى تستفيد منها فائدة دائمة"[5] وثمة عدة مصطلحات قد تطلق على التشويق منها "التحفيز" و"الدافعية" ويقابل هذه المصطلحات في اللغة الفرنسية كلمة (Mot ivation) والمقصود من التركيب الإضافي آثار التشويق جملة هو مختلف الأنشطة التربوية التي يقوم بها الأساتذة والمربون من أجل إنعاش الجو المعرفي داخل حجرة الدرس

بغية جنب الطلاب إلى المادة وتحبيبها إليهم حتى يفهموها حق فهم وينساقوا إليها عن إرادتهم فيجد التلميذ نفسه منصاعة للدرس منساقة إليه منجذبة نحوه، لأن الأستاذ قد اخذ بمجامع قلبه وامتلك عليه عقله وشعوره امتلاكا يحمله على التركيز والانتباه ويصرفه عن شرود الذهن والغفلة والذهول. أما التركيب النعتي "الدرس التربوي" فمقصودنا منه عموما هو ذلك المجهود التعليمي الذي يسعى الأستاذ خلاله جادا إلى إفهام التلاميذ وجذبهم نحو الدرس واكسابهم أكبر قدر ممكن من المعلومات في لوقت قياسي وبطرق مختلفة.

1- أهمية التشويق وفاعليته:

يحسن التنبيه هنا إلى أن التشويق ظاهرة تربوية بارزة لا غنى عنها في عالم التربية والتدريس لذلك عول عليها المربون كثيرا،فقد نظر لها أصحاب معجم علوم التربية تنظيرا جادا فاعتبروها من أهم الوسائل التربوية التي تساعد التلميذ على اكتساب المعارف وتبصره بالطرق والمواقف إذ تساهم في تنشيط الفعل التعليمي. وللتشويق وسائل عديدة تشمل السبورة والوثائق والأشرطة والخرائط والكتب والرسوم البيانية والجداول .... فكل هذه الوسائل تيسر المعرفة وتسهل تقبلها وتلقيها وتحمل على فهمها واستيعابها لذلك رأى الخبراء أن تنشيط ذهن التلميذ من العمليات التربوية الأساسية لتحريك قابلية التعليم، وقد يهدف هذا التنشيط إلى إثارة الحوافز الداخلية للمتعلم حيث يكون التعلم ساعتئذ وسيلة وغاية في الآن نفسه.وقد يكون التشويق بإثارة المتعلم من خلال حوافز خارجية حيث

يكون التعلم لغات أخرى كالرغبة في التفوق، أو الخوف من الفشل، أو

الحرص على نيل الجوائز، أو الفوز بالتشجيعات والتهانئ. وتمكن فاعلية التشويق غاليا في جملة من التقنيات التربوية الأساسية مثل ربط الدرس بالتجربة اليومية للمتعلم، والملائمة بين محتوى الدرس وبين النمو الذهني والوجداني للدارس وكذلك عرض الدرس في قالب إشكالي يعتمد الأسلوب الإنشائي كالاستفهام، والتمني والتعجب، والنداء، وغير ذلك مما يسمح بإشاعة جو من التنافس العلمي ومناخ من التحاور المعرفي داخل القسم.

3 - التشويق بين أنصاره وخصومه:

إن الخبراء التربويين انقسموا في شأن التشويق فريقين: أولهما يقول بفائدته وأهميته وثانيهما يهون من قيمته ويتحدث عن تفاهته وسنعرض لهذين الموقفين في ما يلي:

أ - القائلون بأهميته:

وهؤلاء يذهبون إلى أن التشويق يحبب إلى التلاميذ المدرسة والمدرسين ويكره إليهم الكسل، والفور،والتهاون،فالتشويق في نظرة هذه الطائفة أفضل وسيلة لجذب أذهان التلاميذ والفت انتباهكم إلى المواد الدراسية فهو مدعاة الإتقان وقادح العبقرية والفهم، وجالب النظام والانضباط. وفي هذا السياق يلزم المربي أن يعرف ميول تلاميذه ليعمل على تحفيزها وإيقاظها فالتلميذ غالبا ما يشتاق إلى كل ما له صلة ببلده وأسرته أو شخصه، فارتباط مواضيع الدرس بالحياة اليومية يولد الرغبة لدى الدارس ويشده إلى الموضوع، فللتلميذ مثلا قد لا يلتفت إلى صادرات بلد من بلدان العالم بعيد عنه غير أنه إذا علم أن هذه الصادرات موجودة في سوق قريته، أو علم أن دولته تستجلبها، أو

تستهلكها، أو أن أهله ينتفعون بها فإن تعلقه بها يزداد ويتعزز. وكذلك إذا علم أن معرفة العمليات الحسابية مفيدة عند شراء الألعاب والملابس والآلات المدرسية.

لذلك ركز كثير من خبراء التربية على ضرورة استخدام المشوقات فحثوا على بذل الجهد والطاقة في هذا الجانب مؤكدين على اعتماد المحفزات المباشرة كالمدح والثناء والوعد بالأجر العظيم ونيل الجوائز والتفوق على الأقران لأنها غالبا ما تحمل الطالب على الاجتهاد وتدفعه إلى العمل بجد ونشاط(7).

ب-المعرضون عن سبيله:

وهذا الفريق على النقيض من سابقة يرى أن التشويق يضعف قوة التلميذ ويجعله يهرب من معضلات الحياة، ومن كل شيء غير شيق. والحياة بطبيعتها مليئة بالأمور الصعبة والجافة التي لابد من مواجهتها والقيام بها، فالإكثار من أساليب التشويق غالبا ما يسبب ضعف إرادة التلاميذ ويوهن من عزائمهم، هذا بالإضافة إلى أن المشوقات قد تصرف أذهان التلاميذ عن لب الدرس وعمقه، وما فيه من الحقائق الأساسية وبذلك تموت في الأطفال ملكة الإبداع والإدراك المعنوي، حتى لقد لوحظ أن بعض الأطفال الذين تربوا على دراسة العمليات الحسابية عن طريق المشوقات عجزوا عن حلها دون استخدام هذه الوسائل(8).

وأكثر من ذلك فإن البعض يرى في اتخاذ التشويق نوعا من إشاعة روح الفرح والمرح داخل الجدران الدراسية وهو ما يفضي إلى الضحك الذي من شأنه أن يفقد المدرس بعض هيبته، والدرس جانب من جديته، فينحرف

بذلك عن هدفه الأساسي الذي أنشأ من أجله.

والتشويق القائم على أسلوب المهازلة والمفاكهة كثيرا ما يؤدي إلى تحويل العلاقة العمودية القائمة بين المدرس والدارس إلى علاقة أفقية يتكافآن في نطاقها تكافأ القرين مع قرينه فيكون مآل العملية التربوية الخسران9

غير أن هذا الاعتراض المناهض للتشويق وجهت إليه جملة من الانتقادات لأنه يتنافى مع ما تجمع عليه الاتجاهات التربوية الجديدة من أن المعلم ليس مادة الإكراه والتطويع بل هو على العكس من ذلك كائن نشط يسهم بدور أساسي في العملية التربوية وفي هذا التوجه بالذات ينبغي للمعلم ألا يضطلع داخل القسم إلا بدور المنشط المنشئ للأوضاع الحافزة على المشاركة في الدرس وهو ما يستلزمه اعتماد أسلوب التشويق إلى أقصى حد ممكن.10

ثانيا: محور التشويق بالأقوال:

إن التشويق عبر الأقوال أساس التدريس فمن خلاله ترتسم المعارف في الأذهان وتنطبع المعلومات في الذاكرة، وهذا الضرب من التشويق يتم عبر مستويين أولهما يعتمد روعة الأسلوب وسحر البيان، وثانيهما يقوم على لطيف التنكيب وخفيف المزاح وسنكتفي في هذا المقام بالحديث على المستوى الأول مرجئين الحديث عن الثاني إلى مناسبة أخرى، وفي هذا المستوى سننبه إلى دور الكلمة الطيبة في العملية التربوية فماذا عن قيمتها وأهميتها إذن؟

وفي هذا المحور سنتناول نقطتين أساسيتين هما:

التشويق في التراث الإسلامي، والتشويق في الدرس المحظري الشنقيطي.

وقبل البدء في معالجة هاتين النقطتين نشير إلى أن التشويق يعتبر بالأساس ظاهرة بيانية أسلوبية ترتبط بتأثير الكلمة وحسن التعبير فسحر البيان يقلب الحقائق ويروي الظلماء كالنور، وذلك ما أوضحه الشاعر ابن الرومي عبر خطابه الشعري ضاربا لنا مثلا واضحا إذ وصف العسل مدحا وذما في آن واحد فنراه مرة يشوق الأفئدة إلى هذا العذب المصفى ونجده طورا آخر يحذر النفوس من ذلك القذر الممجوج ففي جانب الإغراء والترغيب جعله شهدا، وفي جانب التحذير والترهيب اعتيره قيئا. وقد أوجز ذلك ضمن بيتين عبر خلالها عن موقفين نقيضين من ذلك المشروب، متفننا في أساليب القول وضروب البيان منتهيا إلى أن موصوفة في كلتا الحالتين واحد ولكن العبارة تحسن وتخشن يقول في البسيط:

تقول هذا مجاج النحل تمدحه
وإن ذممت ثقل قيء الزنابير
مدحا وذما وما غيرت من صفة
سحر البيان يرى الظلماء كالنور

أ- التشويق القولي في التراث الإسلامي:

نشير هنا إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما كان يعلم الصحابة على طريقة السؤال والجواب لأن ذلك أثبت في الذهن وأدعى للانتباه، فقد اعتمد صلى الله عليه وسلم أساليب التشويق عمليا فكان يحاور صحابته رضي الله عنهم عبر هذه الآلية التربوية معولا في أحايين كثيرة على الاستخدام أداة الاستفتاح "إلا" التي تشي بدلالة تأثيرية تنبيهية وتحمل شحنة

استفهامية تشويقية، إذ توقظ ذهن المخاطب وتجمع فكره وتجعل قلبه يتوجه نحو الموضوع ويستعد لتلقي المعارف وتقبلها. فقد ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد رافع بن المعلي رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم"ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد فأخذ بيدي فلما أردنا أن نخرج قلت يا رسول الله قلت: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قال: الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته 12

فالرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث لم يقدم هذه المعلومات القرآنية للصحابي مباشرة وإنما استجمع فكره أولا واستنهض همته وأثار انتباهه عسى أن يتهيأ لتقبل المعارف، فلم يعلمه هذه المسألة ابتداء وانما خاطبه قائلا "الا أعلمك" يكون ذلك أدعى إلى تفريغ ذهنه لتقبلها وإقباله عليها بكليته"13 زد على ذلك ما في الأخذ باليد من الرأفة والرحمة والملاطفة والاقتراب من المتعلم.

وفي هذا السياق نذكر أن أصيل بن عبد الله الهذلي شوق النبي صلى الله عليه وسلم وزوجه عائشة إلى بطاح مكة فقد وصفها لهما وصفا بليغا حيث ذكر ابن حجر العسقلاني في الإصابة "أن أصيلا قدم إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فقالت له عائشة كيف تركت مكة؟ قال تركتها حين اخضرت أجانبها وابيضت أبطحها، وأحجن ثمامها وأغذف إذخرها وأمشر سلمها"الحديث 14. وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك يا أصيل لا تحزنا. وفي رواية وبها يا أصيل دع القلوب تقر 15.

وفي الاستيعاب لابن عبد البر "أن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن استمع إلى وصف أصيل لمكة أتسع ما يقول أصيل؟ فقال صلى الله عليه وسلم لا تشوقنا يا أصيل أو نحوها"16

وذكر أحمد البدوي الشنقيطي 17 هذه الحادثة ضمن منظومة أنساب العرب مؤكدا أن أصيلا قد شوق النبي صلى الله عليه وسلم وزوجه عائشة بأسلوبه المتميز وعباراته المؤثرة يقول 18

أصيل شوق النبي مكته

وزوجه بوصفه فأسكته

ب: التشويق القولي في الدرس الشنقيطي

لقد كان الدرس الشنقيطي القديم يعول على التشويق القولي كثيرا فقد كان الشيخ يحظيه بن عبد الودود 19 يتبع في تدريسه منهاجا متميزا يقوم على توضيح العبارة واستجلاء المعني فيضرب الأمثلة ويذكر التشبيهات البليغة وقد كان أثناء تدريسة للجملة الاسمية ودخول النواسخ عليها يشبه المبتدأ والخبر بخيمة مضروبة تعتمد على ركيزتين احداهما أمامية "المبتدأ" لتنصبه على أنه اسم لها يتم إسقاط الخيمة وإزالة رفعها رفعها مع دخول أفعال القلوب التي تزيل الركيزتين وتنصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر.

وهكذا وفي تدريس هذا الشيخ لمختصر خليل في الفقه كان أيضا يوضح المعاني عبر أمثلة بديعة مستقاة من واقع الناس وحياتهم اليومية ففي شرحه لقول خليل في باب السهو "ولا يجبر ركوع أولاه بسجود ثانيته"20 كان يسوق عبارة حسانية معبرة عن دلالة هذا الفرع الفقهي أحسن تعبير وهي": اعجول خيم ما إحلب الوحد أخر"21 ومعنى كلام صاحب المختصر

أنه لا يمكن لمن فاته ركوع من ركعة، وفته أيضا سجود من ركعة أخرى أن يلفق من بين هاتين الركعتين الناقصتين ركعة صحيحة فيضم سجود الركعة المنسي ركوعها إلى ركوع الركعة المنسي سجودها كما أنه لا يمكن لأسرتين متجاورتين تملك كل واحدة منهما بقرات حلائب أن تتبادلا عملية الحلب عبر العجول فلو افترضنا مثلا أن إحدى الأسر ضلت عجولها وحضرت بقراتها في حين أن الأخرى ضلت بقراتها وجاءت عجولها فلا يمكن للأولى أن تستدر بقراتها بعجول الثانية والعكس كذلك22.

وعبر هذه الأمثلة البديعة تترسخ المعارف في الاذهان، وتنطبع المعلومات في الذاكرة فتتجلي صعاب المعاني أمام ناظر القدم البليد، وتتكشف العويصات أمام صاحب الفهم السليم وقد نبه أحمد محمود"ممو" بن عبد الحميد الجكني 23 إلى أن الشيخ يحظيه كان يعتمد في تدريسه جملة من وسائل الإيضاح وطرائق التشويق،فكان يصوغ من العبارات ما يذب ويسوغ مقدما المعنى البعيد المطموس في صورة القريب المحسوس حتى ليخيل إلى السامع أن عبارات هذا الشيخ سحر حلال وصور حية متحركة يقول"24

وكان في إقرائه يصوغ

عبارة لفهمهم تسوق

يريهم المعنى أخا الطموس

مبرزا في صورة المحسوس

يضرب الأمثال التي تفهم

موسى تلقف ما الأقوام تلقيهه

ونجد الشيخ محمد عبد الرحمن بن فتي25 يصرح ضمن أبيات له بروعة حصص يحظيه مشبهات إلقاءه الدرس على الطلبة بإلقاء موسى عصاه على السحرة يقول:26

تقول نفسي إذا أما الجهل أرقني
ما ترتجيه ببات الحبر يحظيه
فالجهل داء عضال لا شفاء له
إلا السماع لهذا العلم من فيه
دروسه حين يلقيها كمثل عصا
موسى تلقف ما الأقوام تلقيه

وننتهي إلى رأي أحد الباحثين المعاصرين حول أساليب أشياخ المحاظر في التدريس حيث أكد ميلهم إلى اعتماد نماذج التشويق وطرائق الإيضاح مركزا بشكل خاص على جهود المختار بن المحبوب 27 فقد بالغ في قدرته على الإفهام والإلقاء، ذاكروا أن إشكال العويص ينقلب على يديه بيانا ووضوحا يقول:"كان أسلوبه البديع يجذب المريد اليه، وكأنه يتتبع طيات قلب المريد ليبسطها أمام المعارف التي يلقي عليه، وكأنه يرى نقاط الغموض عنده فيتتبعها بالشرح والتوضيح، والأمثلة ووسائل الإيضاح حتى تنطبع الحقائق في ذهنه".

الخاتمة:

وبالجملة فإن التشويق عبر القول آلية تربوية لا غني عنها في عالم التدريس فهي التي تشد أذهان الطلاب إلى الدرس، فتحملهم على الجد والمثابرة، وتدعوهم إلى الانتباه والاجتهاد بل هي أكثر من ذلك تتيح جوا من الإمتاع والمؤانسة، وتشيع مناخا من الأرجحية والاطمئنان.

غير أننا في هذا السبيل ينبغي أن لا نبالغ في اعتماد التشويق والإكثار منه حتى لا يصبح عنصرا سلبيا فالنظر إليه على أنه مجرد إدام، أو ملح طعام.

الهوامش:

1. ابراهيم أنيس وجماعته: المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، القاهرة،1972: 5/1
2. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر،دون تاريخ،10 /192
3. ابراهيم أنيس: المعجم الوسيط، مرجع سابق 520/2

4. عبد اللطيف الفارابي وجماعته: معجم علوم التربية، دار الخطابي للطباعة والنشر، مطبعة النجاح الجديدة، 1994،ص 177
5. الراجل ولد احمد سالم: دروس في التربية وعلم النفس، دفتر بحوزته (مخطوط)
6. عبد اللطيف الفارابي: معجم علوم التربية، مرجع سابق، ص 228
7. المرجع السابق،ص 228
8. الراجل بن أحمد سالم: دروس في التربية وعلم النفس،مخطوط سابق.
9. محمد صالح بن عمر: كيف نعلم العربية لغة حية، دار الخدمات العامة، تونس،ص 21
10. المرجع السابق ص:21
11. مقابلة مع الأستاذ: محمد بن زين بن المحبوب بتاريخ 2000/09/19 بانواكشوط
12. محمد بن اعلان الصديقي: دليل الفالحين: دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت)179/6
13. المرجع السابق 179/6
14. أحجن ثمامها: أي خرجت حجنته، وهي التي تخرج من رأس العود، وأغدف إدخرها، صار كلون الغداف وهو الغراب، وامشر سلمها، صارت فيه المشرة وهي الخوص ونعومة الاغصان.
15. ابن حجر: الاصابة في تمييز الصحابة،54/1
16. ابن عبد البر: الاستعاب في معرفة الاصحاب، الطبعة 1328،1 هـ، مصر: 113/1
17. هو أحمد بن أبي أحمد البدوي المجلسي (ت:9.12هـ/1793)عالم نظامه، له نظم الغزوات ومنظومة في عمود النسب بالاضافة الى بعض التقاليد على مختصر خليل
18. مخطوط بحوزة الأستاذ محمد يحي بن سيد أحمد ص: 195
19. هو الشيخ يحظيه بن عبد الودود الجكني نسبا القناني مولدا ومنشأ كان شيخ محظرة متميزة لبث نصف قرن وهو يعلم الرجال ويكون الاجيال له مجموعة من تقاليد والأمالي والاحكام.
20. خليل ابن اسحاق: مختصر خليل، دار الفكر، الطبعة 1981 /،ص 36
21. هذه العبارة حسانية والمعنى وان عجول أسرة ما لا يمكن أن تستعين بها اسرة اخرى لكن تستدر بها بقراتها.
22. محمد يحي بن سيد أحمد: حياة الشيخ يحظيه ومحظرته (مخطوط)
23. وهو محمد محمود ممو بن عبد الحميد الجكني (1312 - 1362 هـ)عالم وشاعر ونحوي أخذ عن يحظيه بن عبد الودود، أقام في محظرته عقدين من الزمن له أنظام وديوان شعري
24. محمد يحي بن سيد أحمد: مجلة الوسيط، العدد رقم 5-1996، ص 57
25. هو محمد عبد الرحمن بن فتى الشعقرووي عالم معاصر ليحظيه بن عبد الودود (ت 1363 هـ/1941
26. مخطوط بمكتبة عبد الله السالم بن يحظيه رحمه الله
27. هو المختار بن احمد سالم: عرف الغزالي الطبية الهبوب في مناقب المختار بن المحبوب، مخطوط بحوزته.

النظرية الشمولية ونشأة التحليل المنظومي (المقاربة المنظومية)

قراءة في مقال "مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بالمحمدية بجامعة الحسن الثاني - العدد الرابع 1991 مقال الأستاذ الجغرافي "ابراهيم اقريم" كلية الآداب سايس بمدينة فاس تحت عنوان: "مسائل استمولوجية عن النظرية الشمولية في علوم البيئة"

من كتاب:

« Berdolay » (1988) : « Des mots et des lieux de la dynamique du discours géographique"

- محاولة قراءة وتحليل للأستاذ محمد المختار ولد النحه - جامعة انواكشوط

I - الأسس القاعدية للتحليل الشمولي (المقاربة المنظومية)

تستقي المقاربة المنظومية أسسها انطلاقا من أفكار متباعدة من عدة علوم كالكيمياء والبيولوجيا والفيزياء والرياضات والإحصاء...

ذلك أن الآراء الأولية لهذا التحليل انطلقت من الدينامية الحرارية (Thermodynamique) التي أمنت واد هذا التحليل بأدوات إحصائية تسمح بضبط تنظيم الوسط أو المنظومة وديناميتها من جهة كما تسمح بمعرفة بنيتها الداخلية ووظائف العناصر المكونة لها ونوعية الترابط بين تلك العناصر من جهة أخرى؛ ككتاب العالم الكندي النمساوي الأصل (Bertalanffy) تحت عنوان "النظرية العامة للمنظومات" المنشور سنة 1968 الذي يعتم به المؤسس الأول لهذا التيار. وقد ساهم المفكر « Foerster » سنة 1960 في توضيح هذا النهج عن طريق وضع مفهوم "الانعكاس" (Feedbak Retroaciton) وتطبيق المنهج المنظومي على العلوم

الاجتماعية. كما اكتسب هذا التيار الفكري نوعا من الشهرة والشرعية بصدور مؤلفات لاحقة تتطرق لمختلف جوانب إشكالياته وتقترح طرقا جديدة لتناولها، (Le Moigne 1978 ; Morin 1977 , Rosinay 1975 ; Prigogine 1979 , Atlan 1979)

وقد تمت تزكية التحليل المنظومي بظهور مجلات علمية تصدر بانتظام وبلغات مختلفة، من أهمها:

- The international journal of General Systems
- Human System Management
- Systems Presearch

وقد تم ترسيخ هذا النهج الفكري في الحقل الأكاديمي بخلق برامج بحث وشعب متخصصة في الاعلاميات ودراسة المنظومات خاصة في أمريكا الشمالية.

II - المنهج المنظومي: الخصائص المنهجية وأدوات القياس:

تتبنى فلسفة المنهج المنظومي على فرضيات مسبقة كشمولية الواقع وترابط عناصره وقبول التعقيد المنهي. ذلك ان الرقبة في الاقتراب من حقيقة الواقع تتطلب من جهة فحصا شموليا لمختلف مكوناته، كما أن التعقد المنهجي مطلوب من جهة أخرى باعتبار تعقد الواقع المراد دراسته وهنا يساعد التشخيص الرياضي والإحصائي على احتواء هذا التعقد وتناول حيثياته، وبالإضافة إلى الاهتمام بدينامية المنظومة وتغييراتها ودراسة بنيتها والوظائف النوعية لمركباتها..

إنطلاقا من هذه المبادئ إذن، نلاحظ أن المنهج المنظومي في واقعه والذي اعتمدته مختلف العلوم، خاصة الاجتماعية لا يبتعد عن الفكر

الجغرافي من حيث أسسه ومناهجه التي تأخذ بتعدد مصادر المعطيات العلمية حول مجال معين، انطلاقا من أسس الملاحظة والوصف والتفسير وربما التعميم التنظيري من خلال التركيب بين الاختلافات والتشابهات لعناصر هذا المجال، اعتمادا على نظرية المجموعات (Théorie des ensembles) الأمر الذييفرض على هذا المنهج الانفتاح على مختلف العلوم واعتماد المقاييس الكمية (الرياضات والاحصاء) كوسيلة للبحث والتحليل. أي اعتماد طرق نؤدي إلى العمل بقوانين ونظريات تفترض اكتشاف قواعد ثابتة ونماذج تطور ونماذج علاقات وتفاعلات ذلك أن تحليل المجال بشكل منظومي يعني إظهار منطق تنظيم هذا المجال ودراسة مراحل تطوره ومستويات إنتاجه ثم معالجته من حيث الشكل الدينامي. الأمر الذي يجعلنا نقول افتراضا أن التحليل المنظومي يشكل وسيلة وإطار منهجيا في الوقت نفسه. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو ما هي هذه المنظومة أو هذا النظام؟

1- النظام أو المنظومة هي وحدة ذات علاقات داخلية وذات تبادلات خارجية مع المحيط؛ هذه التبادلات هي التي توفر لها نوعا من الاستقلالية؛ حيث تتشكل من أقسام (أنظمة صغرى) مترابطة حيث أن تداخل علاقاتها يحرض على التماسك. وحدة قادرة على التطور والتحول بالحفاظ على ديمومة معينة. علما أن الأنظمة المعنية بالأنشطة البشرية لا تصل إلى درجة التماسك والاندماج الموفرة لدى الأنظمة الطبيعية؛ بل إنها أكثر انتفاحا بشكل يصعب معه ضبط حدودها. وهذا يعني دراسة تنظيم المعطيات بالاعتماد على التحليل الوحدوي.

- الدينامية عن طريق دراسة حركية النظام؛ فالحركة وحدها هي التي تمكن من اظهار المجال في التحليل الاقتصادي (تحديد حالة التمركزات، تراتب العلاقات والبنيات والصيرورات التي تجعلها تتحول)[1] أي دراسة سلوكيات الحركة المنظومية بين المجالات.

وفي إطار إشكاليات المنهج المنظومي دائما؛ يرى « J. Friedman » أن دراسة أية ظاهرة دراسة منظومية تتطلب إثارة إشكاليات:

- البنية السابقة الظاهرة
- البنية المولدة
- اليرورة.

فمركز الاشكالية المنظومية يكمن في دراسة العلاقات بين مختلف مكونات النظام بشكل عام والعلاقة بين الشكل والنمو بشكل خاص.

وفي هذا الصدد أورد « Bertlanffy » تمييزا بين نمو التنافس ونمو التديل. فالأول يظهر أساسا صيرورة الاستقطاب الجغرافي ويحدث ممالات (Gradients) كمركز - هامش؛ بينما يؤدي الثاني إلى إظهار صيرورة إعادة البنية الضرورية لصيانة النظام وإعادة تنظيمه. الشيء الذي يحثنا مرة أخرى على أهمية مراعاة إشكالية الصيرورة في التحليل المنظومي.

2 - حدود ومستويات تحليل المنظومة:

يرى الجغرافي "ابراهيم اقديم" ان الفحص الشمولي باعتماده المنظومة يواجه صعوبة تحديد هذه الأخيرة (كونية، إقليمية، محلية، موضوعاتية، مجالية، سلوكية... إلخ): الأمر الذي

[1] Ph. Aydalot (1976) Dynamique spatiale Paris et développement inégal, Economica – Paris.

يلزمنا حتما ضبط الفواصل الأساية بدون نقص أو تكرار للظواهر مع تحديد وضعية الانفتاح والانغلاق في علاقة المنظومة بمحيطها. لذا يتطلب هذا التحديد مستويين من البحث والتحليل:

2-1 - البحث البنوي للمنظومة: ويقتضي ضبط مركبات المنظومة وتحديد علاقاتها الداخلية والخارجية. أي دراسة تنظيم الوحدة وعناصرها كحلقة الانعكاس (Boucle de retroaction) وما ينتج عنها من متغيرات لفعل ما، ثم تعريف حدود المنظومة ومحيطها من حيث وارداتها وصادراتها الطاقية والاقتصادية والإعلامية وغيرها، وأخيرا تحديد العناصر المنشطة بداخلها (أي مركباتها الداخلية).

2-2 - البحث الوظيفي: ويهدف إلى ضبط آليات وأنشطة العناصر. أي دراسة كيفية تنقل المواد والطاقة داخل المنظومة، ثم درجة اندماج عناصرها وكثافة العلاقات بين مركز المنظومة والوحدات الملحقة بها.

وقد أورد «Rosnay» مستويين آخرين للتحليل الشمولي لخصهما في الآتي[1]:

2-3 الفحص التحليلي التجزيئي ويدف إلى:

- تجزئة كل عنصر على حدة
- دراسة طبيعة الأشياء
- فحص دقيق وتفصيلي
- الاهتمام بتطور المتغيرات

2-4 الفحص المنظومي الشمولي:

- ربط مختلف العناصر بعلاقاتها

[1] Roshay (j) (1979), la Macroscope, Seuil, Paris

- اعتبار نتائج التفاعلات
- فحص عام وإجمالي
- الاهتمام بتطور المجموعة

ونستنتج إذن من مختلف محاور هذه القراءة أن التحليل الشمولي للمنظومة كمنهج علمي حديث يعتبر أساسيا من حيث الدقة والشمولية بالنسبة لمختلف العلوم، خاصة العلوم الجغرافية التي تعتمد على الدراسات النقدية والتحليلات الاستنباطية، وباعتباره كذلك منهجا يتناول المجال بكيفية تركيبية تستهدف دراسة مختلف الأبعاد الطبيعية والمجالية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وهو بذلك يشكل إطارا للتحليل النوعي للأنظمة باعتماد إشكاليات المركبات، العناصر، العلاقات، الترابط، التراتب، التنظيم، التفاعلات الوظيفية، الشكل، النمو، الصيرورة الدينامية وغيرها.

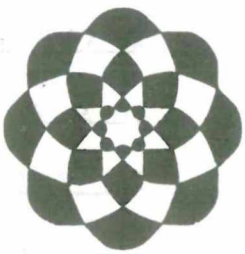

الإعدادات الهيدرو-زراعية والزراعة المروية في موريتانيا

تناول منهجي: الشيخ سعد بوه بن محمد الحسن
جامعة انواكشوط الكلية الآداب والعلوم الإنسانية

ب) تهيئة الأراضي الزراعية واستصلاحها

يحض المخطط الوطني الثالث للتنمية الاقتصادية والاجتماعية (1970-1973) على ضرورة إتباع سياسة الانتاج الأرزي (Riz).

على حساب الحبوب الاخرى، حيث تبني هذه الخطة التنموية استراتيجتها على تركيز جهود التنمية المحلية في المناطق الرئيسية لتربية الماشية في الجنوب الغربي، والجنوب الشرقي من البلاد بالإضافة للمناطق الزراعية، والمحصورة بالأساس في الولايات الجنوبية المحاذية للنهر، وقد عمدت الدولة منذ أوائل الستينات إلى استعلاج بعض الأراضي لغرض الزراعة على طول امتداد ضفة النهر اليمنى، سعيا منها إلى تنمية الزراعية والنهوض بها داخل هذا المجال، غير أن تلك المحاولات ظلت محدودة واقتصرت على استعلاج بعض المساحات القروية المروية الصغيرة (P.P.I.V)[1]. وستعرف الزراعة المروية وتوسعا ونموا

[1] P.P.I.V : Périmètre Pilote Villageaois

ملحوظين، إثر تبني جملة من التوجهات والإصلاحات الجديدة، لدعم وتحديث هذا القطاع من لدن الدولة كان أهمها الإصلاح العقاري، ودعم الاستثمار وتوفير الكوادر الفنية.

الجدول (1) تطور المساحات المستصلحة والمزروعة في القطاع الغربي من حوض نهر السنغال (الضفة اليمنى):

نوعية الزراعية	موسم 1985/1984	موسم 1989/1988
	المساحات بالهكتار	
الزراعة المطرية	550	204
زراعة انحصار الفيضان	15141	1200
الزراعة المروية	874	9810
المجموع	16665	11214

Service statistiques agricoles, ministère du Développement Rural – Nouakchott.

يتضح من خلال الجدول، تراع نسبة الأراضي التي كانت تعتمد في زراعتها على الأمطار من 3,30% خلال الموسم الزراعي 85/84 إلى 1,81% خلال موسم 89/88. أما نظيرتها، زراعة انحصار الفيضان، (90,7% خلال الموسم 85/84) فقد عرفت تراجعا كبيرا، لصالح الزراعة المروية والتي لم تكن تمثل نسبتها خلال نفس الموسم سوى 5,84%، حيث أصبحت تمثل خلال موسم 89/88 نسبة 87,48% من مجموع المساحة المزروعة.

1.4) المساحات المستصلحة المؤطرة:

ويمكن تقسيمها إلى نوعية: المساحات المستصلحة الصغيرة والمساحات المستصلحة الكبيرة والتي تندرج في إطار برنامج شامل يرمي إلى تطوير المجال الزراعي على الضفة اليمنى للنهر. وستكون معالجة هذا التوجه الجديد في إطاره الشمولي الذي هو الضفة اليمنى لنهر السنغال، سعيا وراء نغيط "التحول" الذي يعرفه المشهد الزراعي في منطقة الضفة.

لقد تم البدء لأول مرة في إداد واستصلاح مساحات زراعية صغيرة سنة 1963 حيث تم استصلاح مساحات تقدر ب260 هكتار تم توزيعها على 32 مزارعا بمعدل 0,50 هكتارا للفرد الواحد.

وخلال 1978 تم إداد حصيلة المساحات الزراعية الصغيرة التي تم استصلاحها للدراسة السوسيو اقتصادية لمنظمة استثمار نهر السنغال[1]، وهي ثمان عشرة مرزعة صغيرة تم استصلاحها بمجمل مساحة قدرها 1404 هكتارا.

وخلال سنة 1983 تم استصلاح العديد من المساحات الزراعية الصغيرة ففي قطاع روصو، تم استصلاح أربعين مزرعة صغيرة، بمبادرات خصوصية تقدر في مجملها ب652 هكتارا، وتتراوح مساحة الواحدة منها بين 10-30 هكتارا.

[1] Etat de l'agriculture mauritanienne et objective d'une recherche pour son développement, mai 1984, P. 153.

الجدول رقم (2) تطور المساحات الصغيرة المستصلحة من طرف الشركة الوطنية للتنمية الريفية (SONADER).

القطاع/ السنوات	1984	1985	1986	1987	1988	1989	1990
قطاع روصو	988	1300	1480	1847	1952	2278	
قطار الركيز	–	–	69	69	70	70	70
قطاع بوكي	422	488	488	771	1002	1162	
قطاع كيهيدي	860	960	1100	1190	1389	1469	
قطاع كوراي	252	252	402	420	433	497	
مجموع المساحات المستصلحة	2588	3000	3589	4047	4376	4976	

المصدر: SONADER : Division des études et programmation

يعطي الجدول صورة عن تطور استصلاح الأراضي والمساحات الزراعية الصغيرة (P.P.I.V) ابتداء من سنة 1984 حتى 1990، وخلال هذه المدة سجل قطاع روصو (الترارزة) أكبر نسبة من المساحات المستصلحة: 2526 هكتارا متبوعا بقطاع "كيهيدي" ولاية كوركول (ب: 1847 هكتارا، ثم بوكي (البركة) ب: 1597 هكتارا.

الشكل رقم (1) يوضح كيفية الاستصلاح والإنتاج في مساحة قروية صغيرة (P.P.V):

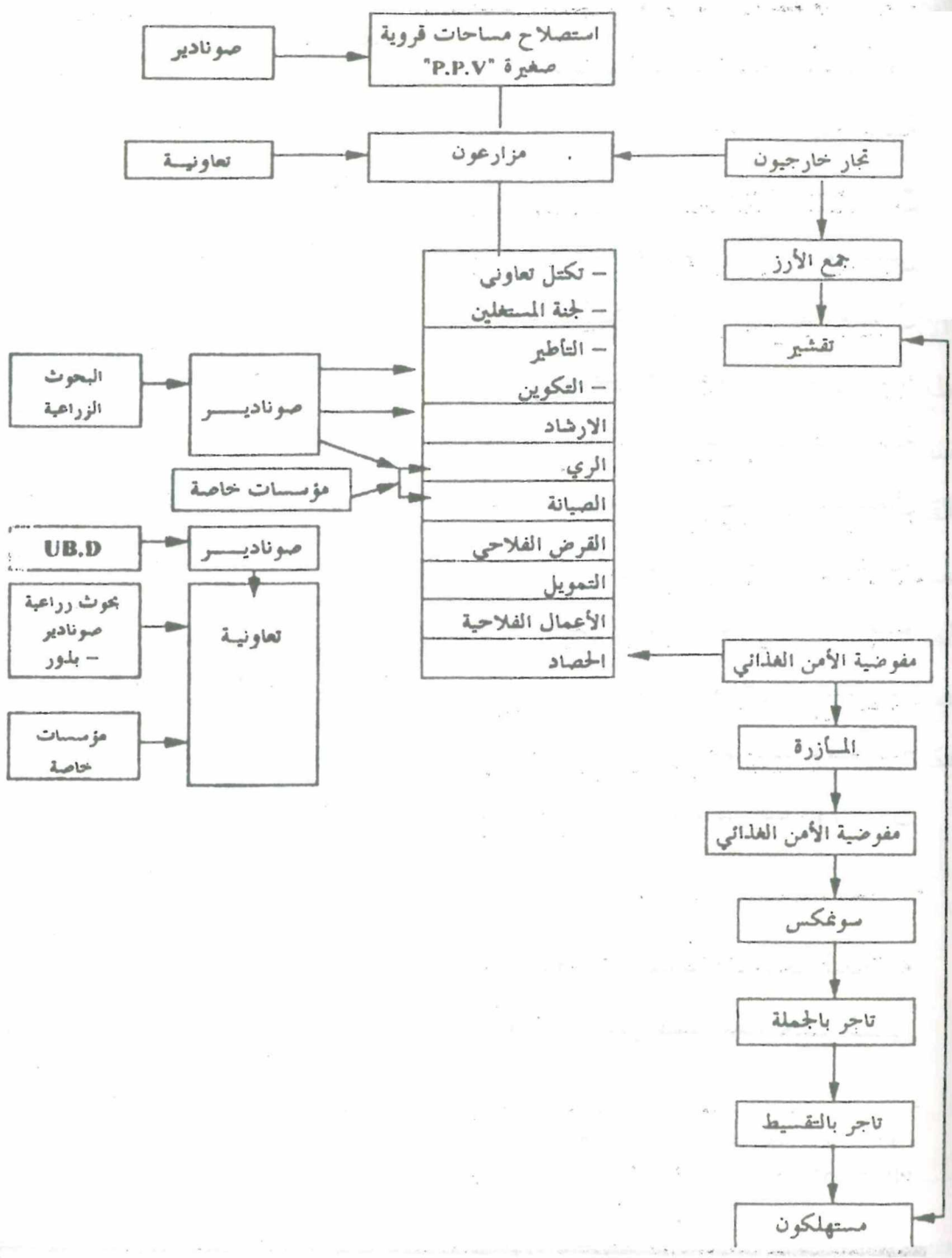

يمكن حصر الأراضي، والمزارع المستصلحة، ذات المساحات الكبيرة عدة مشاريع زراعية كبرى، أهمها مزرعة امبورية في الترارزة (Ferme de M'Pourrier)، وكوركول الأسود (Périmètre Pilote du Gorgol) وبوكي. وقد كانت الاشغال والأعمال في هذه المشاريع الزراعية الكبرى، موجهة في البداية لاستصلاح مساحات زراعية كبيرة مثلا 4000 هكتارا في امبورية و3600 هكتارا في كوركول الأسود و910 هكتارا بوكي. غير أن أعمال الاستصلاح المتحيرة ظلت بعيدة عن تلك الأرقام والقياسات، فالمساحة المستصلحة في مزرعة امبورية، ظلت محدودة، وتتسم بالتذبذب، وعدم الاستقرار من سنة لأخرى، حيث لم تتجاوز 1440 هكتارا شكلت مزرعة الدولة منها 638 هكتارا بينما شكلت المساحة الباقية مزارع منحت لتجمعات قروية مجاورة لسهل أمبورية[1].

3.4 المساحات المستصلحة "الحرة": (الشكل رقم (1) يوضح كيفية الاستصلاح يتولى الخواص استصلاح وتهيئة وإدارة الخاصة أو على القروض البنكية. وقد ساهم دخول القطاع الخاص في تطوير الزراعة وللإشارة فإن موريتانيا لديها خاصية ربما تتميز بها أساسا عن السنغال المجاور والتي تشترك معها في منظمة استثمار نهر السنغال، وهي الأهم النسبية لرأس المال الخاص، والغير مؤطر، أي لا يدخل تحت وصاية الدولة من ناحية الإشراف ووسائل الانتاج.

ونظرا لغياب الاحصائيات الدقيقة والمعلومات عن حجم المساحات التي

[1] Etude de l'agriculture mauritanienne OP. Cité PP : 50, 51.

تم استصلاحها واستغلالها من طرف الخواص، فإننا سنكون مجبرين على الأخذ أحيانا بتقديرات بعض المسؤولين عن القطاع الزراعي وأحيانا أخرى الرجوع إلى بعض الإحصائيات المتقادمة إلى حدما، فقد بلغ مجموع الأراضي المستصلحة سواء من طرف القطاع الخاص أو القطاع التابع لإشراف وتأطير الدولة سنة 1991 ما يناهز 33570 هكتارا من المساحات الخام، بينما بلغت الأراضي المستصلحة الصافية ما يقدر ب: 30136 هكتارا[1].

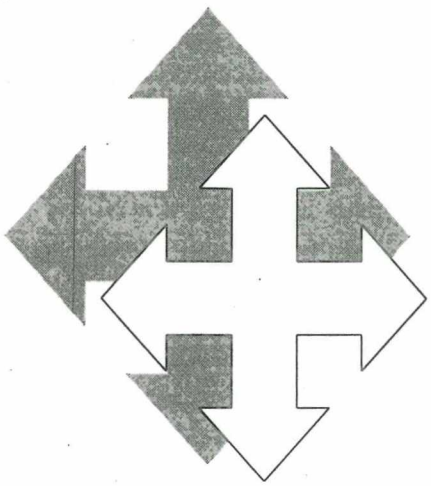

[1] Rapport, bilan, campagne agricole (1990-1991). Recenssement des périmètres aménagés SONADER / OMVS, septembre 1991.

Le silence qui suivit fut gênant et tout le monde reprit le chemin du campement non sans avoir dépêché un coursier pour informer les femmes et les vieux qu'on avait retrouvé la fugitive.

Cette nuit-là, le mari d'Aguida découvrit une autre épouse à la place de la sienne : docile, offerte, aimante même. »

***

Le père d'Athmane se tut à nouveau, laissant à son fils le temps de faire travailler son imagination. Puis :

« Lorsqu'il se réveilla plus tard d'un sommeil qu'il n'avait jamais pu avoir depuis plusieurs nuits, le mari d'Aguida avait quelque chose comme un nœud à la gorge et une obsession dans l'esprit : les traces d'homme qu'on avait trouvées sur le lieu où Aguida avait passé sa nuit de fugue. Etaient-elles anciennes ou, comme l'affirmaient certains, récentes se demandait-il? Aguida disait-elle vrai ou mentait-elle en affirmant n'avoir vu personne ?

Pendant que le jeune marié se posait ces questions et d'autres encore, son regard ne cessait de se poser sur le corps de son épouse qui dormait d'un sommeil agité, de l'autre côté de la tente qu'on leur avait dressée sur la dune à l'écart de celle des parents d'Aguida. Que pouvaient bien cacher ces soubresauts qui de temps en temps remuaient ce corps de femme repue ?

Aucune réponse. »

Athmane servit la deuxième théière que son père trouva très sucrée. Il n'en sirota pas moins son verre avec délectation, poussant même de temps en temps des « ahh ! » de satisfaction.

Le jeune homme commençait à percevoir les grandes lignes de la fin de l'histoire que son père racontait. Aguida était tombée enceinte et son mari avait des doutes sur sa paternité de l'enfant auquel elle avait donné naissance à cause des traces trouvées à proximité de la dune où elle avait dormi la nuit de sa fugue. Mais quel rapport cela pouvait-il avoir avec lui, Athmane ; et qui eusse justifié que son père enfreignît les règles sacrées de la sahwa ?

***

La voix du père d'Athmane :

« Aguida ne survécut pas à son accouchement. Quelques heures après la naissance de son enfant, elle quitta ce monde sans avoir repris connaissance. Son veuf quitta le campement, pressé par les commérages des femmes de la tribu et les regards gênés de ses amis et proches cousins. On ne le revit jamais. On dit qu'il se réfugia chez

une tribu maraboutique du Charg et qu'il eut de nombreux enfants.

L'enfant fut, comme il est d'usage, recueilli par les parents d'Aguida qui l'élevèrent avec beaucoup de bonté. Il eut pour nom Aouad et devint rapidement un grand et joli garçon. Il se maria hors du campement et eut plusieurs enfants. Il fut l'ancêtre d'une lignée des Idabouren ; celle justement de ton ami qui vient de demander la main de ta grande sœur. »

Le vieil homme avait raconté cette dernière partie de l'histoire d'un trait et avec une voix où se distinguait une tonalité coléreuse.

Tout devint alors extrêmement clair pour Athmane, même ce que son père attendait de lui. Celui-ci reprit d'ailleurs la parole et dit :

- «Oulad Aouad sont nos cousins. Mais il ne sont pas de notre rang. Alors, trouve les moyens de convaincre ton ami de renoncer à ses intentions et surtout de ne pas les éventer. Je serais très gêné d'avoir à me justifier du refus de donner ma fille en mariage à un Oulad Aouad. Alors, à toi de jouer, mon fils ! »

***

La troisième et dernière théière était maintenant prête. Athmane la servit la tête déjà ailleurs.

Les affaires de la tribu auxquelles il avait cru échapper grâce à son éducation moderne et à ses idées évoluées le rattrapaient maintenant, avec tout ce qu'elles avaient de dérisoire.

Il cherchait déjà les mots pour convaincre Khalih Ould Aouad de renoncer à Yaghout, sa sœur car, quelque part lui aussi ne pouvait plus admettre que ce mariage eût lieu maintenant qu'il savait tout.

Il servit le thé et se leva :

- Nous pouvons maintenant regagner le campement, père dit-il.

contournait pour éviter de prendre une épine dans le talon, réveillant souvent un lapin qui dormait au pied d'un arbre ou effrayant un lézard qui commençait sa chasse aux mouches encore endormies. Elle ne fit pas d'autre rencontre, durant tout le trajet.

Vers midi, elle avait tellement chaud et soif, qu'elle décida de se reposer en attendant l'après-midi. Le premier point d'eau dont elle avait entendu parler, c'était la source intarissable d'Aïtlila et elle ne pouvait l'atteindre qu'après plusieurs heures de marche au moins. Elle s'affala donc, épuisée, à l'ombre du premier arbre ombrageux qu'elle trouva et ne tarda pas à sombrer dans un sommeil de plomb.

Elle fit plusieurs cauchemars qui la tiraient du sommeil en sursaut, avant de se rendormir aussitôt. Lorsqu'elle ouvrit les yeux vers dix huit heures, le soleil était déjà très bas et sa soif avait diminué d'acuité. Elle fit rapidement les trois prières qu'elle avait ratées, puis elle se remit en route, décidée à continuer de marcher jusqu'à atteindre les grottes hantées. Après quatre longues et pénibles heures, elle parvint enfin à gravir le flanc est d'Aïtlila et n'eut pas beaucoup de mal à trouver la source dont on lui avait si souvent décrit l'emplacement, qu'elle avait l'impression de s'y être déjà rendue. L'eau était fraîche et Aguida avait soif. Elle plongea la tête dans la source et but à grandes gorgées entrecoupées de brefs arrêts pour respirer. Ses oreilles bourdonnaient à chaque gorgée et ses yeux devenaient lourds. Lorsqu'elle fut complètement désaltérée, elle se traîna vers un petit amas de sable qui se trouvait pas loin de la source et s'endormit aussitôt, happée par une sorte de fatigue à la fois bienfaisante et morbide.

Elle ne se réveilla que le lendemain à l'aube. Sa fatigue avait disparu, laissant la place à une sorte d'extase euphorique. Elle se sentait heureuse, comme si elle n'avait plus de problème du tout. Après s'être étirée et avoir remercié Allah des bienfaits dont il ne cessait, malgré tout, de la combler, elle se leva pour aller faire ses ablutions. Ce fut alors que son regard rencontra une chose qu'elle n'avait pas remarquée jusqu'à présent : un homme était étendu un peu à l'écart de la dunette où elle avait passé la nuit. L'homme était plongé dans un sommeil silencieux. Un frisson traversa le corps d'Aguida lui donnant la chair de poule. Sa première idée fut de prendre ses jambes au cou avant le réveil, de l'étranger. Mais celui-ci, comme s'il avait lu dans ses pensées,

se réveilla brusquement et, écarquillant les yeux pour en chasser les derniers brins de sommeil, toussa et salua. Aguida lui rendit le salut d'une voix craintive. L'homme se dirigea vers la source, fit de longues et soigneuses ablutions à l'abri du regard d'Aguida et commença sa prière du Sobh. Aguida en profita pour faire la sienne, la tête pleine de toute sorte d'idées.

Lorsqu'il eût accompli son devoir religieux, l'homme se tourna vers Aguida et lui dit :

- Je vais à Grayvet Litem. C'est sur ton chemin ?

- Non, répondit-elle.

- Bien, dit-il, puis, après un long silence pendant lequel il n'a pas quitté la jeune femme des yeux comme s'il voulait enregistrer le moindre détail de son visage, il prononça le « Je vous confie à Allah » d'usage pour prendre congé et dévala la montagne à vive allure, laissant Aguida à sa perplexité et aux multiples interrogations qui lui torturaient les méninges. Qui était-il ? D'où venait-il ? Par quelle coïncidence avait-il été là ? Puis, soudain, cette question : Avait-il abusé d'elle pendant son sommeil ?

Un vertige prit la jeune femme et son cœur se mit à battre la chamade, à l'horrible perspective d'une réponse affirmative à cette question. Sa gorge devenue soudain sèche, elle fut prise de fortes nausées suivies de vomissements atroces puis elle vacilla et tomba évanouie.

Lorsqu'elle reprit connaissance elle ne savait combien de temps après, tous les hommes de la tribu dont celui qu'elle avait pour mari étaient là et s'affairaient autour d'elle.

Ce fut son oncle paternel qui parla le premier :

- Qu'as-tu fais là ma fille ? Tu voulais mourir loin des tiens comme une bête égarée?

Aguida n'osa pas regarder le père de son mari aussi bien par pudeur que par honte.

Un peu plus loin, les autres hommes regardaient les traces qui quittaient le lieu où avait dormi Aguida et discutaient. Certains d'entre eux soutenaient qu'il s'agissait de traces anciennes d'au moins quarante huit heures, d'autres qu'elles étaient toutes récentes mais tous s'accordaient pour dire que c'était bien des chaussures de peau de vache portées par les hommes.

Interrogée une fois qu'on se fût assuré de sa santé, Aguida n'eût que cette réponse :

- Je ne sais pas. Je n'ai vu personne.

ininterrompus ; un garçon avec lequel une nouvelle. lignée des Idabouren pas comme les autres commençait, un peu malgré tous.

Une naissance, et de surcroît celle d'un garçon, c'est d'habitude un événement heureux que chacun attend avec impatience, même les jaloux et les envieux. Celle-ci ne l'était pas et pendant neuf mois, chaque membre de la tribu avait secrètement souhaité qu'elle n'eût jamais lieu ou que, si elle le devait, que le nouveau-né fusse une fille. Avec les filles, tout est possible. Mais voilà, Allah dans le secret insondable de ses motivations en avait décidé autrement. L'arbre généalogique des Idabouren s'allongeait maintenant d'une branche dont la tribu aurait payé cher pour se passer.

Neuf mois plutôt la communauté guerrière de grande souche avait pourtant tout le loisir d'éviter que cela arrivât».

La voix du vieil homme sombra dans les ténèbres. Athmane n'entendait plus que les longues aspirations que son père émettait en buvant son verre de la première théière. Ils étaient seuls tous les deux, dans cette nuit noire où le moindre bruit était amplifié à rendre sourd.

Il avait senti que son père préparait quelque chose de grave, rien qu'à travers le cérémonial dont ce dernier avait entouré leur sortie du campement. Le vieil homme avait tenu à lui donner les allures d'un vrai voyage : deux chameaux parmi les plus beaux et les plus robustes ont été harnachés et des provisions suffisantes pour deux personnes pendant trois jours ont été achetées. Il avait cependant tenu à garder le secret sur la destination.

***

- «Ne va pas aux grottes Aguida, elles sont hantées.

La jeune fille avait souvent entendu cette mise en garde de la part de sa mère. Pourtant, c'était justement vers la montagne où se trouvaient ces grottes qu'elle se dirigeait ce matin-là et d'un pas ferme. Il faisait encore nuit et l'obscurité était telle que la jeune femme trébuchait tous les trois mètres sur un 'gros caillou, un tronc d'arbre ou un monticule dunaire surélevé. Oubliée la peur qu'elle avait toujours ressentie vis à vis des grottes d'Aïtlila. Elle fuyait.

Elle avait attendu que tout le monde dormît, même les nombreux chiens du campement qui, d'habitude, se mettaient à aboyer au moindre mouvement ou présence. Lorsqu'elle avait quitté le coin de la tente où elle

s'était recroquevillée, son père ronflait de manière sonore et sa mère, couchée un peu à l'écart de son mari, délirait dans son sommeil. Mais cela n'empêchait pas Aguida de se croire poursuivie au moindre bruit et d'accélérer le pas dans l'obscure nuit.

C'était après avoir mûrement réfléchi qu'elle avait pris sa décision. La situation dans laquelle elle vivait était insupportable. L'homme qu'on lui avait donné pour mari devenait chaque nuit plus décidé à la prendre contre son gré, les commérages des femmes du campement qui jasaient depuis le premier jour sur sa virilité ajoutant à sa détermination. Quelque chose lui avait dit la veille qu'il mijotait un plan avec ses amis pour arriver à ses fins. Alors elle avait refusé de quitter la tente paternelle prétextant des maux de têtes atroces. Pour convaincre ses parents de sa bonne foi, elle avait réussi à vomir en s'enfonçant le doigt dans la gorge. Sa mère était alors intervenue auprès de son gendre pour obtenir que sa fille malade dormît à ses côtés ; ce que ce dernier accepta non sans avoir maugréé quelques protestations. C'était là la partie la plus difficile du plan qu'Aguida avait imaginé pour se soustraire à ce destin que ses parents voulaient lui donner en la mariant à l'un des fils de son oncle paternel. La tradition voulait que les choses se pass'assent ainsi, mais Aguida avait d'autres projets dans la tête et ne voulait pas les sacrifier fût-ce pour respecter la tradition. La deuxième partie du plan consistait à fuir le campement des siens et à se réfugier dans un autre. Le temps que ses parents la retrouvassent, elle espérait qu'ils auraient changé d'avis et renoncé à leur décision. »

***

Pendant que son père parlait, Athmane préparait la deuxième théière et écoutait la voix paternelle qui lui parvenait du fond de la nuit. Profitant de ce que l'obscurité servait d'écran entre eux, ses yeux étaient braqués sur ceux de son géniteur, comme si cela pouvait amplifier les paroles de celui-ci.

« Aguida marcha pendant plusieurs quarts d'heure dans une nuit d'indigo, priant à chaque pas pour ne pas piétiner un serpent, rencontrer un porc-épic ou tomber dans un fossé et se fouler le pied. Aux premières lueurs de l'aube, un soulagement la pénétra et ses pas devinrent plus assurés et plus rapides. Elle pouvait maintenant voir le paysage se déployer devant elle. Il y avait du sable et des pierres à perte de vue. Quelquefois, un petit bosquet d'acacias rabougris et pour la plupart effeuillés barrait la route. Aguida le

3). **L'appui à la sauvegarde – valorisation de notre patrimoine**

Pour cette sauvegarde-valorisation, la communauté francophone peut jouer un rôle éventuel : elle concerne :

3.1- La sauvegarde des cités mémoires et le patrimoine archéologique national.

3.2- La promotion de notre artisanat

3.3- La sauvegarde de nos monuments, domaine où la France notamment, est le leader en Europe pour la numérisation de fonds patrimoniaux.

Conclusion

Dans sa lettre en date du 20 décembre 2000 pour la préparation des festivités qui commencent le 20 Mars, le Secrétaire général de l'OIF rappelait la mission de la Francophonie : Car nous le savons tous, entre Francophones ce n'est pas seulement parler le français, c'est aussi se sentir animé d'un esprit de solidarité et de fraternité, se sentir empreint de valeurs que portent les beaux noms de démocratie, droits de l'homme, de diversité culturelle.

Tout y est en effet et c'est cela profondément l'enjeu pour la Mauritanie et pour d'autres pays du sud en intégrant cette famille francophone, ils y cherchent la chaleur de la fraternité et de la solidarité et la coopération au delà de la diversité culturelle, raciale et religieuse.

Le message adressé à l'occasion du trentième anniversaire de l'Agence par le Président Nigérien Mamadou Tandja mérite d'être la conclusion de cet exposé :

Conscient de la place qui est la sienne, mais aussi du rôle qui lui incombe dans cette belle et exaltante aventure, née voici trente ans, le Niger est prêt à les assumer avec foi et dignité, pour que vive la Francophonie dans la plurilinguisme et le dialogue des cultures.

We Salamou Alikoum Wa Rahmatou Lahi Wa Barakatouhou

Nouakchott le, 12 Mouharam 1423 et le 24 Mars 2002

MOHAMED SAID O/ HAMODY

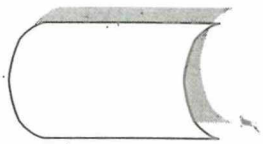

Les traces

(NOUVELLE)

Idoumou Ould Mohamed Lemine

Pr. Université de Nouakchott

Alors que la théière posée sur le brasier allumé par le jeune homme commençait à siffler, la voix du père d'Athmane déchira soudain la nuit comme si elle venait du fond des âges :

- Il n'est pas d'usage qu'un père s'adresse à un membre de la tribu plus jeune que lui, à fortiori à son propre fils, sur le ton de la confidence intime et sans réserve. La loi de la pudeur l'a depuis toujours interdit ; je ne t'apprends rien.

Le vieil homme se tut un moment puis reprit :

- Si je me résous à le faire, c'est que le moment est grave et que la situation commande de faire fi de la tradition pour, justement, sauver cette même tradition.

Il se tut encore comme si, dans l'obscurité, son regard eût été subjugué par les gestes de son fils qui venait de retirer la théière du feu et cassait un morceau de sucre pour le mettre dans le thé bouillant.

- C'est d'une histoire qu'il s'agit. Toute notre vie est faite d'histoires, mais celle que je vais te raconter est une histoire qui nous a fait de nombreuses vies. Ecoute donc et ne m'interrompt jamais avant la fin.

« C'était il y a plusieurs dizaines d'années, commença-t-il. Le pays était prospère et nos ancêtres vivaient sur les verdoyantes hauteurs herbeuses du plateau du Tell. Ils étaient nombreux, forts et très riches des razzias qu'ils effectuaient de temps en temps dans les pays voisins et des tributs qu'ils recevaient des populations soumises.

Tout commença, comme toutes le histoires d'hommes, par une naissance ; celle d'un nouveau-né dont le cri signalant la délivrance de la mère ne fut pas, comme à l'accoutumée, étouffé par les youyous de joie des femmes de la tribu. Il perça la tranquillité nocturne de toute sa stridence, agressant toutes les oreilles éveillées et tirant de leur sommeil les autres. Le silence que l'accoucheuse garda sur le sexe de l'enfant suffit pour faire comprendre à tous qu'Aguida venait de faire ce que chacun redoutait : mettre au monde un garçon. Un garçon robuste et fort comme on pouvait le deviner à ses vagissements

Malgré sa solitude née précisément de sa spécificité, la Mauritanie a toujours participé activement à la vie communautaire de l'espace francophone.

Et les enjeux de la francophonie ici sonnent comme autant de véritables défis. Au delà et en plus de la coopération bilatérale qui la lie à la France et à ses voisins immédiats ou plus éloignés, la Mauritanie est en droit de s'attendre comme tous les autres membres de la communauté a bénéficié au sein de l'espace francophone de la compréhension pour ses particularités, du soutien pour ses expériences réussies et pour la promotion de certaines de ses ambitions dépassant quelquefois pour ne pas dire souvent ses ressources propres, financières pour ne pas dire techniques et humaines.

I. Problématique linguistique et identitaire :

1. **La langue** : la langue arabe est bien sûr la langue maternelle de la grande majorité des mauritaniens et la langue liturgique de tous, comme elle est leur langue historique de culture et de communication. Mais la langue française est devenue un acquis , un héritage légué par un siècle de rapports avec la France et est une fenêtre ouverte sur une autre partie du monde. La communauté francophone peut et doit être un espace qui encourage et aide la Mauritanie a maintenir l'acquis que constitue la maîtrise de la langue française, eu égard surtout à la nouvelle réforme tendant à rétablir le traditionnel bilinguisme.
2. **L'identité** : comme la Francophonie qui s'est proclamée après la conférence au sommet de Maurice une Unité dans la diversité , nous sommes en Mauritanie plusieurs en un.

Tout un héritage commun nous rassemble : civilisation arabo-islamique (religion, langue liturgique, traditions vestimentaires, architecturales, contes, légendes etc.) et des interpénétrations diverses, mais aussi des particularités qui nous éloignent de la stérile standardisation. La Francophonie doit être un espace où nos composantes socioculturelles peuvent cultiver ces particularismes mais au service du toit commun et de l'héritage partagé et dans la concorde.

II. La question de la démocratie et des Droits de l'homme.

1. Démocratisation et Droits de l'homme.

La Communauté francophone institutionnelle et certains grands pays de la Communauté, et comme

nous l'avons vu, accordent de plus en plus d'importance à cette question de la démocratisation et de l'Etat de droit en général.

Mais il importe de résister à la tentation d'estimer que la démocratie est à son propre modèle ou ne le sera pas, et de dicter une "démocratie à laclé ".

C'est faire des miles et une différences (civilisationnelle, d'expérience historique, de niveau de développement économique et social etc).

Même à l'intérieur de la famille africaine les chemins qui mènent à la démocratisation de la vie publique sont multiples bien que (préparation pratique à petits pas, conférence nationale etc).

Nous avons expérimenté notre propre voie par exemple parachevée (expériences électorales graduelles, ambition de généraliser l'enseignement, lutte contre la pauvreté).

Même chose pour l'Etat de droit, qui passe incontestablement par deux voies incontournables : une justice fiable et crédible, une presse libre et indépendante, l'acceptation du droit à la différence, et des droits et devoirs de la minorité électorale et de la majorité etc.

Là aussi la Mauritanie est en droit d'attendre de l'espace francophone un appui à sa propre expérience et une aide à trois préalables que définitivement, démocratie et droits de l'homme, l'alphabétisation, l'atténuation de la pression, de la pauvreté, la périodicité et la transparence des élections, et un appui à leur organisation matérielle.

2) La nécessité d'une augmentation continue de l'indice du savoir. A ce titre l'enjeu pour la Mauritanie est un soutien résolu à ses objectifs :

2.1 une aide substantielle pour mener à bien la volonté d'introduire l'outil informatique de plus en plus dans tous les secteurs de la vie nationale, dans les catégories socioprofessionnelles, chez toutes les tranches d'âge et surtout au sein des générations montantes. Et en plus l'aide technique à la mauritanisation de son contenu.

2.2 Soutien à la généralisation de l'enseignement obligatoire jusqu'à l'âge de seize (16) ans et l'alphabétisation fonctionnelle graduelle de la population adulte active.

2.3 Soutien à la politique ambitieuse instituée pour l'encouragement de la lecture, la promotion du livre et la généralisation des bibliothèques de proximité.

que ce sont des points de vue différents ou des actions concrètes contredisant les bonnes intentions.

1. Au moment ou se construit l'identité francophone, l'alliance assure d'autant mieux sa vocation qu'elle contribue à faire entendre la voix de créateurs originaux du monde entier qui envahissent la culture française, de nuances nouvelles, qu'expriment dans notre langue des expériences des cinq continents. Cette déclaration de Chirac en l'an 2000 fait allusion au rôle de l'alliance française créée en 1883 comme association nationale pour la propagation de la langue française dans les colonies et à l'étranger et joue en principe ce rôle avec la chaîne des lycées français et centres culturels à travers le monde. C'est un élément important de la promotion du français partout. Mais autre son de cloche, Monsieur Daniel Malbert, chargé de mission à la délégation générale à la langue française et aux langues de France à Paris assure : la France a toujours un double discours. D'un côté, des colonnes entières sur le déclin français, de l'autre la faiblesse des moyens consacrés à la promotion du français (témoignage personnel les lycées français aux Etats-Unis)
2. Il faut désormais que la francophonie marche sur ses deux jambes : les Etats et les Peuples à une francophonie institutionnelle doit répondre une francophonie populaire "nous dit une résolution du VI e congrès francophone des ONG tenu au Québec en octobre 2000, je laisse à ce propos le public juger de la marche de la francophonie sur ses deux pieds.
3. La problématique de l'hégémonie anglophone sur l'Internet et les technologies nouvelles est un défi particulièrement préoccupant pour les porte-parole de la francophonie.

Le Président Chirac parlait récemment de nécessité de voir l'entrée de toutes les langues et cultures dans l'ère numérique (qui) est encore une question de survie. Cette remarque relance la question de l'exception culturelle au Gatt puis à l'organisation mondiale du commerce posée par la France face à l'incontestable hégémonie culturelle anglosaxonne, Boutros Ghali, plus spécifique parlant en octobre 2001 d'un nouveau mur coupant le monde

en deux, un mur numérique tout aussi long et difficile à faire tomber que celui de Berlin. Ce problème des technologies nouvelles est d'autant plus important pour les francophones que notre espace accuse un retard sérieux. En effet avec 16 millions d'utilisateurs en français de l'Internet, le français vient au 6ème rang après le chinois, le japonais, l'allemand, l'espagnol et le coréen. L'anglais mis à part. Mais la paramoïa ne suffit pas pour rattraper le retard, seule une aide substantielle aux utilisateurs du sud et l'activation de problèmes spécifiques et adaptés, répondant à l'attente et aux besoins du sud peut aider le français à dépasser son handicap présent.

- Toujours eu égard à l'Internet le rapport Block initié en 1998 et déposé et adopté il y a peu, a pour première mission l'utilisation des technologies de l'information et en particulier de l'insertion pour renforcer la présence internationale de la France et de la francophonie. Devant l'assemblée nationale Monsieur Block en présentant son projet de loi : nous ne devons pas nous enfermer et nous construire une sorte d'intranet français, un minitel en couleurs confortable mais illusoire. Aujourd'hui l'Internet à encore trop peu de visibilité à l'international comme d'ailleurs l'Internet francophone. Ce sont là franchement posés tous les éléments de l'équation.

- La dimension culturelle du développement, admise enfin, nous dicte d'agir dans le respect et de l'identité des cultures et des langues. Nous disent les ténors de la francophonie. C'est là incontestablement une excellente invention mais qui joue avec la réalité. Il y a d'abord les raisons objectives qui, nonobstant le respect théorique, rendent inévitables les inégalités entre langues et les antagonismes entre cultures et identités (prévisions du New York Times pour 2010). Il y a ensuite la volonté d'Etats à l'intérieur et à l'extérieur de l'espace francophone tendant à promouvoir ou renforcer leurs langues, à favoriser leur héritage culturel et civilisationnel.

-

B) Francophonie en particulier

Le cas spécifique mauritanien

Mis à part sa spécificité civilisationnelle, son mode de vie dominé par les séquelles nomades mais aussi ses traditions littéraires et culturelles immémoriales, la Mauritanie au lendemain de son indépendance, a traversé des crises qui ont nom questions linguistiques, identitaires etc.

Elle dispose d'un opérateur principal ; l'Agence Intergouvernementale de la Francophonie et quatre opérateurs directs (Agence universitaire Internationale université Senghor d'Alexandrie, l'Association internationale des maires francophones et la chaîne de télévision TV5).

Ajoutons l'assemblée parlementaire de la Francophonie qui a un consultatif.

iii) L'AIF gère deux instituts francophones : celui de nouvelles technologies de l'information et de la formation (INTIF) à Bordeaux et celui de l'énergie et de l'environnement au Québec.

L'AIF se subdivise en 8 (huit) directions de programmes et 3 bureaux régionaux : l'OIF est dirigé par l'égyptien B.B Ghali et l'Agence par le canadien Dehaybe.

II. La Coopération inter francophone.

Mises à part les relations bilatérales, entre pays ou groupes de pays de l'Espace francophone, la coopération multilatérale de la Francophonie est confiée à l'Agence Intergouvernementale de francophonie (AIF) dont la conférence générale se confond comme signalé, avec la conférence ministérielle de la francophonie (CMF) et dont le conseil d'administration est le comité permanent de la francophonie (CPF).

Dans son domaine d'attribution l'AIF, en l'an 2001, a organisé et participé à plus de 30 (Trente) manifestations dont 2 instances de la francophonie.

Ainsi elle initie de nouveaux projets d'appui et de soutien aux industries culturelles des pays francophones du Sud.

Ces industries à la fois outils de développement et symboles des identités culturelles ont concerné l'aide à la production, à la distribution et à la promotion des films et des disques et le soutien à des entreprises de presse.

On peut regretter cependant que le soutien aux industries culturelles n'a pas été orienté vers par exemple :

- La promotion d'un artisanat performant
- La recherche pour développer la pharmacopée locale
- La création d'une industrie de protection et de sauvegarde des mémoires écrites et orales
- Une protection des arts dits premiers et au développement de la muséologie etc ..

C'est à dire à des éléments de conservation de la mémoire ou pour le développement durable. Dans l'air du temps l'AIF s'est vu confié le rôle de la consolidation de la démocratie et de la promotion des droits de l'homme dans l'espace francophone.

Ainsi décidé par le VIIIe sommet de la francophonie, un symposium international sur le bilan des pratiques des droits et des libertés dans l'espace francophone s'est tenu à Bamako en Novembre 2000. Une déclaration sur l'Etat de droit et l'impérieuse nécessité d'élections fiables transparentes et un projet de programme d'action pour renforcer la démocratie de l'espace francophone ont été préparés pour adoption future au IXe sommet de Beyrouth, de l'an dernier.

Les missions d'observateurs francophones ont

Egalement suivi les élections présidentielles de plusieurs pays membres de l'OIF au cours de l'année 2000. Et une cinquantaine de journaux et périodiques d'Afrique et d'Asie ont obtenu une assistance du Fonds d'aide à la Presse mis en place depuis 1998.

Fier sans doute de son bilan en matière de défense et l'illustration de la démocratie.

Boutros Ghali a déclaré en octobre dernier : on ne peut nous accuser d'être laxistes à l'égard des régimes qui ne respectent pas la démocratie... Cependant on ne peut pas en déduire, non plus, qu'ils soient très regardants ou très sévères en matière de sanctions contre ces régimes ce qui est normal en un espace de souverainetés ombrageuses vivant des circonstances très différentes.

Monsieur Dehaybe, lui, assure que pour la coopération inter francophone les actions conçues ... à partir de besoins identifiés par les populations concernées et menées avec elles... avant d'ajouter : .... C'est la conception de la coopération multilatérale qu'ont voulu nos Etats et nos gouvernements et que notre Agence Internationale doit consolider encore au cours du biennium 2002/2003. Bref, une coopération démocratisée, utile et transparente.

II. La Francophonie. Face et Pile

Côté rue, c'est le côté face exhibée, en d'autres termes des affirmations de documents, conférences et déclarations francophones. Il est intéressant d'en rappeler quelques exemples et de mentionner aussi le côté Pile c'est à dire le côté jardin

exclusivement géographique, ni même linguistique, mais aussi culturelle. Elle réunit tous ceux qui, de près ou de loin, éprouvent une centaine appartenance à la langue française, aux cultures françaises, qu'ils soient de souche Slave, latine ou créole, par exemple.

1.3Le petit Larousse est plus sobre, plus ambiguë aussi quand il définit ainsi la francophonie :

Communauté de langues des pays francophones ; ensemble des pays francophones –collectivité que forment les peuples parlant français.

1.4 Le Robert est encore plus bref : pour lui francophone c'est celui qui parle habituellement le français et aussi la communauté des peuples francophones.

Tout ce beau monde n'est d'accord que sur la définition du français langue romane parlée principalement en France, au Canada, en Belgique, en Suisse et en Afrique.

Emphatique, le Secrétaire Général de la Francophonie, Monsieur Boutros Ghali définit le français comme étant la langue du non alignement.

La Ministre Mauricienne Shirin Ann Erudy – Griffra qui présidait le Comité Permanent de la Francophonie au Sommet de Maurice cerne ainsi le concept francophonie : communauté ayant en commun l'usage du français nous sommes devenus, dit-elle, une communauté ayant le français en partage.... Et de préciser : A Maurice, les chef d'Etats et de gouvernements réunis pour le Ve sommet ont souligné ce changement de terminologie, mettre en évidence l'évolution de la francophonie (fin de citation)

Et mettre, j'ajouterai, la réalité d'un partage aux parts inégales entre ceux pour qui le français est la langue de chaque jour, à côté de ceux pour qui il est un usage circonstanciel et de ceux pour qui le français n'est que par accident.

2. Bref historique

Le Président Senghor, qui reste mon témoin privilégié, soutient que l'idée actuelle de la francophonie serait née à Brazzaville, en janvier 1944, lors de la fameuse conférence présidée par le Général de Gaulle.

Après cette possible mais longue gestation, ce qui est certain c'est l'apport, en 1968, de deux hommes, deux africains qui, isolement ou de connivence, ont jeté les prémisses de la francophonie.

En 1968, a Montréal, le Président tunisien Habib Bourguiba déclarait : nous avons conscience non

seulement d'avoir enrichi notre culture nationale, mais l'avoir orientée, de lui avoir conféré une marque spécifique que rien ne pourra plus effacer en faisant ainsi allusion à son mixage entre les cultures française et arabe en son pays.

En Mars de la même année, l'organisation commune africaine et malgache (OCAM) sous la Présidence et l'impulsion du Chef de l'Etat nigérien Hamam Diori, conçu le projet d'une agence de coopération culturelle, et technique (ACCT) qui réunirait les Etats utilisant la langue française. C'est l'ancêtre de l'actuelle agence intergouvernementale de la francophonie (AIF). Il faudra attendre cependant mars 1970 pour voir à Niamey, la réunion de trois hommes pur jeter les bases d'une organisation francophone structurée. Il s'agit de trois chefs d'Etats déjà cités : les Présidents Bouguiba, Dioi et Senghor.

Et ainsi bien avant la résolution de la conférence au sommet de Maurice sur l'unité dans la diversité, la Francophonie institutionnelle, naissait par la volonté de trois personnalités qui partagent leur appartenance à l'Afrique, leur adoption du français comme langue de communication; d'expression et l'appartenance à cette vaste zone d'interpénétration que constitue le Sahara et l'Afrique soudanaise.

Les présidents français, de Pompidou au Président Chirac, soutiendront depuis 1974 avec des humeurs diverses l'idée, puis le projet.

Les Sommets se succèdent depuis les conférences franco-africaines jusqu'à la première conférences de la francophonie qui se tiendra, en Février 1986, a Paris, sous la Présidence de Mitterrand. Ces Sommets auront pour noms : Paris, Dakar, Quebec, la Baule, Chaillot, Maurice, Moncton, Beyrouth etc.

Le cadre institutionnel politique de coopération passera par plusieurs phases avant de se stabiliser sur le schéma suivant :

i) La conférence au sommet des chefs d'Etat et de gouvernement, précédé souvent par la conférence ministérielle de la francophonie et le conseil permanent de la francophonie composé d'un nombre limité de représentants de chefs d'Etats et présidé par e Secrétaire Général de l'organisation internationale de la francophonie (L'OIF)

ii) L'OIF qui regroupe à ce jour plus de cinquante Etats et Gouvernements les actions de la politique internationale et de la coopération multi latérale.

comme toutes les sociétés classiques, ce que le sociologue Tönnies appelait une «communauté-prévalence du Tout», alors que l'Europe moderne et les idéaux qu'elle charrie constituent une «association d'individus»[14].

La philosophie politique de la République constitue un modèle riche d'enseignements (et d'avenir) : celui d'une légitimation du pouvoir par le savoir des gouvernants. Ceux-ci seront philosophes et, sachant le Bien –le bien de l'homme en particulier- seront à même d'organiser au mieux la cité, et cela à l'opposé de la foule –ce «grand sophiste»[15]*- qui règne anarchiquement en démocratie, créant par son incompétence le chaos et la décadence de l'ordre politique. Ce principe de légitimation s'oppose donc à la fois au gouvernement par les grandes familles pouvant se prévaloir d'une généalogie les rattachent aux dieux (ce que Max Weber appelait «l'autorité de l'éternel hier»)*[16].

Mais il s'oppose tout autant au principe contractualise du modèle des droits de l'homme : dans ce cas-ci, ce qui légitime l'autorité politique, ce n'est pas un savoir ultime dont elle serait dépositaire (à l'opposé des autres membres de la société, aveugles à la connaissance), mais le respect contrôlable des clauses du contrat social.

(A suivre)

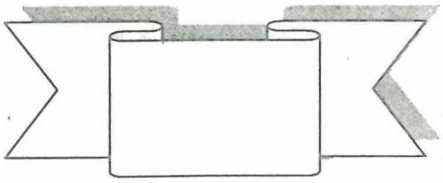

[14] Chez Platon, le rôle dominant de la contemplation des essences et, ultimement de l'Idée de Bien, est évident : les philosophes, capables de cette contemplation, ont vocation à gouverner la cité. Chez Aristote, la situation est sans doute plus complexe puisque celui-ci privilégiera dans l'action politique, non plus la vertu théorique, la sagesse (Sophia) contemplative, mais la vertu pratique de prudence.

[15] Le mot est de Platon

[16] Cf. Max Weber, le savant et la polituqe, Plou 1959, p.114.

La Francophonie :
Ses enjeux ailleurs et ici

Présentée par S.E

Mohamed Saïd Ould Hamody

I) La Francophonie en général

I Définition et bref historique.

1- Francophonie qu'est-ce à dire ?

Nous disposons de plusieurs définitions.

1.1 Celles du Président Léopold Sédar Senghor

L'ancien Chef de l'Etat Sénégalais assure que le géographe français ONESINE Reclus, au 19ème siècle, a inventé les deux néologismes francophone et francophonie.

Senghor déclare que choisissant l'analogie plutôt que la nationalité, il en résulte que pour lui-même francophonie peut signifier :

- L'ensemble des Etats, des pays et des régions qui emploient le français comme langue nationale, langue de communication internationale, langue de travail ou langue de culture.

- L'ensemble des personnes qui emploient le français dans les différentes fonctions que voilà.

- La communauté d'esprit qui résulte des différents emplois.

1.2 Celles de l'Année francophone internationale publiée par l'Agence Internationale pour la Francophonie.

- francophonie avec un petit (f) désigne généralement l'ensemble des Peuples et des groupes de locuteurs qui utilisent partiellement ou entièrement la langue française dans leur vie quotidienne ou leurs communications.

- Francophonie avec grand F désigne plutôt l'ensemble des gouvernements, des pays ou des instances officielles, qui ont en commun l'usage du français dans leurs travaux ou leurs échanges.

- L'espace francophone, lui, représente une réalité non

une frontière très nette, tout d'abord entre grecs et barbares pris, parmi les Hellènes, entre citoyens et non-citoyens (esclaves, femmes, mutiques...). Bref, la liberté des anciens vaut pour une petite minorité d'individus, et elle concerne le cadre de leur activité collective, alors que la liberté des Modernes vaut en droit pour tous, et s'exerce dans la vie privée (les droits politiques ne servant qu'à mieux se protéger de l'Etat en le soumettant au contrôle de la société).

On peut résumer les différences majeures entre les deux «conception du monde» en les réarticulant autour du couple individu/universel. Ce couple est caractéristique de la conception moderne des droits de l'homme, puisque de tels droits valent pour tout individu en tant que tel. Or la cité grecque occupe une sorte d'espace intermédiaire entre l'universel et l'individuel : l'espace ou le lieu du «particulier». Cela veut dire que la cité constitue une sorte d'organisme : elle existe effectivement comme une entité concrète, à laquelle se rattachent les citoyens comme à un prolongement, un accomplissement d'eux-même. En d'autres termes, elle est naturelle, ce qui, de ce point de vue, l'oppose diamétralement à la conception moderne de l'artificialité de l'instance politique (par rapport à un état de nature pré-social)[12]*. Cette cité existe dans le temps, comme un être vivant, et c'est elle que Socrate fait «parler» dans la célèbre Prosopopée des Lois du Griton*[13]*: il refuse de s'enfuir, c'est-à-dire de désobéir aux lis d'une cité qui l'a vu naître, l'a éduqué, protégé, bref forme une part inéliminable de lui-même. L'individu est donc en quelque sorte «soudé» à la figure particulière localisée dans l'espace et dans le temps, liée à certains dieux titulaires, que constitue sa cité. Or, précisément, les droits de l'homme mettent en quelque sorte l'individu et l'universel face à face, court-crimitant le lieu particulier de l'Etat et des règles «positives». L'individu peut faire valoir ses*

[12] C'est d'ailleurs un élément central de différenciation de la philosophie politique grecque et les théories contractualistes modernes.

[13] Platon, Griton

droits au nom de son appartenance à une communauté plus ou moins idéale, de son statut de citoyen du monde à qui des droits imprescriptibles sont garantis, éventuellement à l'encontre des prescriptions – voire des intérêts – de la «cité» (de la communauté politique particulière à laquelle il appartient).

Dans la république de Platon, chaque individu doit occuper la place que lui destine la.qualité de son âme (or, argent bronze selon la vielle classification périodique, reprise par Platon), de façon à promouvoir au mieux l'harmonie de la cité, ses droits (tout relatifs) découlant seulement de l'occupation d'un tel «lieu», de l'accomplissement d'une telle fonction (gouvernant – philosophe, guerrier, producteur).

La hiérarchie nécessaire à la bonne marche de la totalité est donc première, et par conséquent les inégalités qu'elle entraîne. S'il y a égalité, ce ne peut être là la différence de ce qui se passe pour la problématique des droits de l'homme) que dans la mesure où elle contribue mieux que l'inégalité à l'accomplissement des exigences de la cité, et jamais à partir d'un droit fondamental.

Il faut donc éviter à tout prix une confusion quand on «compare» la philosophie politique de Platon et d'Aristote avec le modèle théorique des droits de l'homme : les exemples d'égalité des citoyens pouvant se présenter dans le contexte antique sont toujours contingents au sens où, rigoureusement parlant, ils auraient pu ne pas être. L'égalité n'est pas posée par principe, mais comme un moyen éventuel d'assumer au mieux l'ordre du Tout. Ce qui revient à dire que la société grecque -et la philosophie politique qui s'y rattache, jusqu'à la conquête macedonienne- est une société du statut, privilégiant la position occupée par l'individu au sein du Tout et sa subordination aux exigences de ce dernier.

A l'opposé, l'idéal de société que dessine le modèle théorique des droits de l'homme repose, comme on l'a vue, sur la notion de contrat. La Grèce, malgré le fait qu'elle ait introduit dans l'histoire l'exigence de rationalité, reste,

Les prémices de la philosophie des droits de l'homme dans la pensée grecque

Mohamed Ould Mekhallé

IGEST/MEN

L'essence même du projet socratique consiste à exiger que les individus rendent raison de – c'est-à-dire- justifient leur attitude morale et politique : c'est si et seulement si une opinion (doxa) résiste à l'épreuve critique de la dialectique qu'elle se transformera en savoir (épitomé)authentique.

Potentiellement donc, l'attitude socratique ouvre la perspective du combat contre l'argument d'autorité», c'est à dire contre un pouvoir voulant se maintenir en place sans être à même justifier rationnellement.

Ainsi, la naissance de la philosophie morale sous les espèces de la «maïcutique», du moins compris en un sens très large comme institution du tribunal de la raison, du logos. Mais cette condition, pour essentielle qu'elle soit, n'es nullement suffisante : les autres traits caractéristiques du «modèle» sont absents de la pensée fondamentale des grecs, c'est à dire des philosophies politiques de Platon et d'Aristote.

Il n'y a tout d'abord pas d'état de nature pré-social tel qu'il a été défini durant les temps modernes[8]*.*

l'homme est un animal politique, et sa «nature» se relie indissolublement à l'activité citoyenne. Autrement dit, la liberté grecque s'oppose trait pour trait à la notion de liberté sous-tendant les grandes déclarations de droits : cette

[8] Cf. Our une analyse approfondie de cette questio. L. Straun, Droit naturel et histoire

dernière est, selon la thèse de Benjamin Constant,[9], une liberté « privée », c'est à dire une liberté contre les incursions possibles du politique dans le domaine privé ; à l'opposé, un grec sera dit libre si et seulement s'il n'est pas gouverné par un autre homme, il participe à la délibération et à l'action politique elle-même[10]. Nulle idée – du moins selon les tendances dominantes – d'un bonheur privé que l'on opposerait à une sphère publique tenue délibérément à distance (pour s'en protéger). Alors que la liberté moderne consiste à vaquer librement aux occupations privées qui constituent l'enjeu du bonheur, les grecs ne conçoivent de «bonne vie» (objet de la philosophie morale) que dans la participation aux affaires de la cité. Le bonheur est «public», l'Etat continue le lieu d'auto-réalisation de l'individu.

Une autre différence est corrélative de celle qui concernerait les «lieux» - public privé- de la bonne vie. Alors que les droits de l'homme se relient du moins dans la première génération[11] à l'idéal d'une limitation stricte de l'intervention de l'Etat dans la sphère privée, la démocratie grecque était extrêmement «interventionniste», comme le montrent mille exemples. Il n'y avait pas à proprement parler de frontière fixe entre le public et le privé, que ce soit du point de vue du lieu du bonheur ou dans la perspective d'une protection de la liberté individuelle.

Enfin, la pensée grecque du temps de la cité (avant la conquête macedonienne) est dans ses courants majeurs (c'est-à—dire à l'exception de certains sophistes ou cyniques) non universaliste : il ne s'agit pas de défendre les droits des individus comme tels, mais tout au contraire de tracer

[9] «Le but des anciens était le partage du pouvoir social entre tous les citoyens d'une même patrie. C'était là ce qu'ils nommaient liberté. Le but des modernes est la sécurité dans les jouissances» (B Constant, Politique constitutionnelle.

[10] Cf. H. Arendt, la crise de la culture, Pris, Gallimard, 1972 col. "idées", pp 198-201.

[11] Il s'agit des libertés revendiquées contre ou par rapport à l'Etat tandis que la deuxième génération des droits de l'homme constitue des droits à ... et font appel à l'intervention de l'Etat au lieu d'une abstention requise par la première génération.

temps présent et futur à la fois et comme un état aussi bien qu'une période»[6]. C'est le rite qui permet de vivre le mythe. Il le réactualise et lui confère sa puissance d'exaltation, sa capacité d'être vécu. C'est surtout dans le rituel que nous retrouvons l'enemble des représentations symboliques, des décisions et des règles de comportement du groupe.

Ce sont toutes ces croyances et ces pratiques qui fondent le tissu social.

Vouloir démontrer que le mythe de Wagadou est une littérature sacrée, nous permet de connaître l'homme soninke en tant qu'un individu appartenant à un groupe communautaire soumis à des normes comportementales établies par la communauté elle-même.

C'est une étude qui prend en considération, l'évolution du soninke dans un univers de mystères qu'on doit élucider par une interprétation à plusieurs et différents niveaux pour saisir dans sa totalité le comportement du Soninke face à la nature au sein du groupe et face aux autres groupes avoisinants.

En effet, ce sont les règles, les lois et les interdits édictés par le mythe qui montrent au soninke sa véritable condition humaine, les modalités de son existence et le but vers lequel il doit aspirer, qui est la communion avec la nature, par l'observation et l'interprétation des signes.

C'est pourquoi, Wagadou-Xiissa constitue tout un programme pour la réalisation de l'homme idéal selon le Sonninkaaxu. Il considère que l'individu résume la société dont il est membre, il représente aussi l'univers dont il est comme le centre de gravité où convergent les forces génératrices et de renouvellement de la terre.

Le récit de Wagadou-Xiissa est un puissant investissement de la sensibilité humaine. C'est un univers de symboles à décrypter pour connaître la signification des rites et des cultes. D'ailleurs, c'est le décodage des signes qui permet d'avoir une meilleure prise pour comprendre le Soninke d'hier et celui d'aujourd'hui ciblé à travers des coutumes traditionnelles qui illustrent ce que l'homme soninke a de particulier dans sa culture à l'encontre des autres civilisations sahéliennes.

Le récit de Wagadou-Xiissa repose sur une organisation d'éléments symboliques qui entretiennent des relations de continuité, de ressemblance et parfois d'opposition pour former un discours codé. C'est pourquoi, réduire le contenu et la portée de ce mythe dans la civilisation du peuple soninke et même au-delà, dans les influences inter-culturelles des groupements ethniques dues au brassage des peuples par des scénarios classiques des versions et variantes des administrateurs coloniaux, c'est tronquer ce récit et lui enlever sa substance d'être une manifestation magico-religieuse et non des traditions historiques encore moins une légende.

---

[6] Mircéa Thade : Le sacré et le profone . Paris – Editions Gallimard, 1965, P.104.

En effet, le décodage des éléments symbolique du mythe de Wagadou-Bida est une organisation basée sur la maîtrise du langage des signes qui forme une école à part. C'est un apprentissage qui se déclare très tôt, avec quelques élèves des groupes d'âge sélectionnés pour une formation de longue durée dans les sociétés d'initiations. Cette connaissance est livrée par étapes progressives à des élus qui subissent des épreuves intolérables destinées à aguerrir le corps. Notons que ces épreuves sont autant de tests d'endurance de la douleur corporelle, du contrôle de l'émotionnel mais surtout de la langue, organe d'une haute portée symboliques : la civilisation africaine est orale. La finalité de ces initiations est un art de vivre basé sur l'observation de la nature, sur l'identification et l'interprétation des signes.

Il faut noter que c'est une formation qui suscite une interrogation ou des interrogations sur le sens des signes de l'univers dans sa signification, dans la création humaine.

En milieu soninke, les représentations symboliques sont des signes de communication avec la nature, elles couvrent un sens. Elles constituent un langage où les propositions énoncent des relations de combinaison, de continuité ou d'opposition ayant des niveaux de significations différentes selon l'objet du discours.

Cependant, vu le sens secret des signes, il n'est pas chose facile de recueillir toutes les données susceptibles d'étayer le sens ou de jouer un rôle déterminant dans les pratiques coutumières, dans les rites et les cultes du monde soninke. C'est ainsi que Charles Monteil fait la remarque, dans son ouvrage: les Bambaras de Ségou «si à l'aide de documents et connaissances, il est en somme facile de décrire, il est par contre une tache ardue et délicate que de définir la coutume appliquée à des manifestations sociales déterminées et de tenter la découverte des principes qui animent ces manifestation»[7].

Les origines de la philosophie des droits de l'homme doivent incontestablement être cherchées dans la pensée grecque. En effet on se rappelle qu'il s'agissait de tenter de légitimer le pouvoir politique en faisant appel à la raison (dimension «rationaliste du modèle); une autorité ne sera légitime que si elle justifie, devant le tribunal, sa subordination au but, au des droits de l'homme. Avant que ce but soit lui-même posé. Il a donc fallu que l'instrument intellectuel le tribunal, l'instance de la raison - soit créé, et c'est incontestablement la philosophie grecque qu'a accompli cette tâche.

[7] Charles Monteil: Les Bambaras de Ségou et de Kaarta. Pris, Larose – 1989 – P.1.

filles du Sahel : Djaguiné Bori, Khatanné Bori, Khousoum Dombou Koussa (mère de Jaabé et de Bida). Ainsi le patriarche Dinga parvient à réaliser son voeu d'avoir un héritier digne de la chefferie.

En outre, les animaux qui figurent dans le récit Wagadou Xiissa, sont des messagers des dieux du panthéon soninke, ils sont des intermédiaires entre le monde des vivants et celui des morts. Ils ont une couverture humaine : Mama Kubare – (l'hyène de Dinga), le vautour qui a guidé Diabé, le chien de Dinga Doundou-Khoutiné (gros nombril) et Bida agissent et réagissent comme des êtres humains. Ils manifestent leur jugement, leur préférence.

Ainsi l'hyène et le vautour exigent des sacrifices à Jaabe (cent pouliches), pendant trois mois pour recouvrir jouvence et force pour partir à Khoumbi ida quant à lui, marque une nette préférence pour son frère Jaabé. Propriétaire de la terre, il a choisi son représentant (Jaabé) pour régner à Wagadou et ceci au détriment des quatre chefs des clans fondateurs de l'empire.

C'est surtout, la rupture du pacte de Dyenguedè qui s'est traduit par le meurtre de Bida ; que se manifeste toute la démesure du récit et sa haute portée philosophique. Les personnages et leurs faits sont amplifiés à l'échelle du destin d'un peuple qui, de nouveau connaît l'errance, la quête de nouvelles terres d'implantation, signe de sa dispersion sur l'étendue des pays de l'Ouest africain.

Wagadou Xiissa est un précieux document historique qui atteste de l'existence des personnages de la fondation de l'empire, du culte du dieu-serpent, de la chute de Wagadou-Bida et de la dispersion soninkée.

Le grossisément des faits historiques est un art du beau discours des gesseru ((les griots diseurs – les généalogistes), qui, pour démontrer la suprématie des Manga (empereurs) sur les autres chefs de clans aristocrates, leur donnent une essence trans-humaine, une naissance de mères génies. C'est ce qui leur confère une dimension surnaturelle, des attributs de surhumain et la capacité de soumettre à leur volonté aussi bien les hommes que les djinns. C'est pour des raisons d'intérêts personnels ou politiques qu'ils font basculer brusquement, le récit Wagadou Xiissa dans le monde merveilleux. Le réel alors s'estompe, il est banni dans le récit et la fiction prend place et plus rien ne peut s'expliquer de manière rationnelle, suivant les critères de l'entendement humain.

C'est peut-être cet embellissement du récit qui a incité les administrateurs coloniaux à considérer le récit sur la fondation de Wagadou-Bida, le culte du serpent et la dispersion soninkée de légende, de littérature merveilleuse, antirationnelle, une littérature à l'encontre de l'ordre naturel et des règles préétablies par les sociétés humaines. Il faut convenir que les versions et variantes du récit de

Wagadou-Bida à un moment de leur relation font rupture avec le monde de la réalité concrète ; elles glissent vers un discours qui rejette les normes de la science et les contraintes de la raison. Pour ces étrangers (les administrateurs coloniaux) qui méconnaissent l'imaginaire collectif des Noirs, et qui banalisent les différences culturelles entre l'Occident et l'Afrique ; notamment la culture soninkée, qualifient le récit de Wagadou Xiissa qui a une haute portée scientifique pour connaître les soninko d'hier et même ceux d'aujourd'hui ; de légendes ce qui est une aberration.

Wagadou Xiissa est plus qu'une tradition historique ou une légende. Il est récit à la fois collectif et anonyme, où tous les soninko se retrouvent et se considèrent descendants du même ancêtre mythique Mama Dinga. C'est une littérature sacrée qui possède une concision et une force d'exaltation bien supérieures à tous ces agencements d'ordre individuel et émotionnel communément appelés littérature merveilleuse.

En effet, Wagadou – Xiissa raconte un événement primordial qui a eu lieu au temps des commencements «In illo tempore» du groupe dans le Sahel. C'est un récit qui met en scène des personnages fabuleux, des exploits surnaturels qui ont parmis la fondation de l'empire et sa sacralisation par le culte chthonien du dieu serpent. Wagadou Xiissa explicite la conception que se fit le Soninke de l'homme idéal selon le code du soninkaaseu, et aussi le sens de tel rite, la pratique de tel culte ou pourquoi l'observation de tel interdit par l'ensemble des membres du groupe communautaire.

De part son contenu et sa portée, il se démarque nettement des autres formes de récits de fiction (contes, proverbes, fables... etc). C'est un récit qui unit et maintient solidaires autour d'une même origine (la vallée du Nil) et l'ancêtre Dinga. Les normes et règles de conduite de vie sociale et morale qu'il propose se trouve dans le sacré.

Comme dans le passé, le Soninke religieux doit accomplir des rites pour être en cohésion avec la nature.

Wagadou Xiissa est donc un mythe de fondation et de dispersion, une manifestation magico-religieuse d'une croyance ophidienne cristallisée autour de Bida. Ainsi, dans la mesure où il est une narration du passé que les rites cultuels et culturels reproduisent d'une manière symbolique, tout tant donnant l'explication de son origine ainsi que de sa fonction par les ancêtres.

Les rites pratiqués par la communauté soninke sont une série indéfinie de reproductions identiques autour de la récupération de l'acte rituel.

Ainsi la ritologie vestimentaire des mariés, la nuit nuptiale, de la parturiente, des circoncis... etc n'est qu'une continuelle répétition à travers le temps. C'est un temps que commémore le temps mythique, le temps des dieux.

C'est dans cet ordre d'idée que Mircéa Eliade atteste que le temps mythique «ne doit pas être pensé simplement comme un temps passé mais comme un

Mythe de fondation et de dispersion des Soninko

Suite sur le récit de Wagada Bida

Analyse présentée par Mme Couloubaly Sirandou Keïta
Pr. de Lettres

I) Critique de la littérature existante

Les administrateurs coloniaux ont voulu par les écrits rétablir une vérité historique et démontrer par la collecte des traditions africaines, que le contexte africain, à l'instar des nations européennes a connu de grandes civilisations, des centres de rayonnement culturel «Empires du Ghana / Wagadou, du Mali, de Songhaï, Dabomey, Zoulou... etc.

C'est en ce sens que les traditions historiques relatives à l'origine et les conditions de l'installation des Soninko dans le Sahel ont été recueillies.

Notons, cependant que les communications de ces traditions ont été surtout des marabouts, des chefs coutumiers en collaboration avec l'autorité coloniale. Ils ont transmis l'hisoitre de Wagadou-Bida (Wagadou Xiissa) en arabe soninkisé, d'où d'ailleurs le terme XIISSA qui signifie (relations, récit).

Ces communicateurs selon leurs motivations personnelles d'intérêt, ou des objectifs inconnus, qu'ils ont visé, ils ont créé une situation où nous avons plusieurs versions et variantes qui par leur différence et leur multiplicité illustrent bien le constat que nous avançons :

II) - M. Adam. Légendes historiques du pays du Woro du Sahel[1].

- Lieutenant Lanzarec. La légende historique. Histoire de Dinah qui régnait à Droka[2]
- Robert Arnaud. La singulière légende des Soninko[3]
- Maurice Delafosse. Traditions historiques et légendes du Soudan occidental [4]

[1] M. Adam. Légendes historiques du Proro du Sahel, in : «Revue coloniale». Paris : Ghallamel. 1903-1904.

[2] Lieut. Lanzarec. La légende historique – Histoire de Dinah qui régnait à Droka, in: "La revue indigène" n°18. Paris: Octobre 1907

[3] Robert Arnaud. La singulière légende des Soninkés, in : «L'Islam et la politique musulmane francçaise, 1912, PP.144-159.

- Gharles Monteil. La légende de Wagadou[5]

Pour ne citer que ces quelques titres, nous constatons que tous ces récits ne couvrent pas la même importance politique ou métaphysique.

Les deux récits qui nous semblent assez complets par la présentation de la structure sociale et par l'univers mental du peuple qui s'explique la création du monde, la nature humaine et leur inter-dépendance sont les versions de Maurice Delafosse et celle de Charles Monteil.

Ces deux versions démontrent que le récit sur Wagadou – Bida, dans ses multiples aspects est une littérature identitaire qui se réfère aux anciens par le code de l'honneur, de l'excellence, le soninkaaxu qui est une somme de règles de comportement moral, de conduite sociale et des interdits que nul ne peut transgresser impunément.

Cette littérature est une manifeste de prise de conscience du groupe soninke d'appartenir au groupement ethnique des wagadou-remmu (les fils de Wagadou) pour non seulement se démarquer des autres peuplades du Sahel mais une volonté affichée de ne pas être assimilés et acculturés.

Par ailleurs, la plupart de ces témoignages relatifs à la genèse des Soninko dans le Sahel recueillis par les administrateurs coloniaux, sont souvent intitulés de légendes ou traditions historiques.

Pourtant les personnages et leurs faits relèvent de la réalité historique. Cependant, ils sont amplifiés par la présence du monde surnaturel qui ne réduit pas la cohérence du récit. Dans ces récits, l'individu, le héros se trouve comme dans le récit merveilleux confronté à un phénomène de mystère. Des obstacles surhumains se dressent contre lui, mais il parvient, à déjouer les pièges et à sortir vainqueur des épreuves, parce qu'assisté par des agents occultes.

Cette situation est fréquente dans plusieurs séquences du récit. Nous le notons dans l'affrontement qui oppose Mama Dinga à Séné-Wali la Djinn et ses maîtres. Nous l'avons aussi avec l'hyène et le vautour qui sont les messagers de l'âme de Dinga. Ils ont pour mission de conduire Jaabé et sa suite à la «terre promise» de Koumbi.

Dans le récit de Wagadou Xiissa, nous notons un monde merveilleux où les héros sont des surhommes dotés de pouvoirs magiques immenses. Ils manipulent les forces occultes, ils annihilent la puissance des djinns et soumettent à leur domination tous les êtres.

C'est ainsi que Mama Dinga Vainc les diablesses et parvient à épouser les trois

[4]Maurice Delafosse. Traditions historiques et légendes du Soudan occidental, in : « Renseignements coloniaux et documents » n°8. Publiés par le comité de l'Afrique française et le comité du Maroc, supplément à l'Afrique française. Paris – Août 1913.

[5]Gharles Monteil. La légende de Wagadou, in : Mélanges ethnologique. Dakar – IFAN, 1953.

grâce à une aide financière consentie par la coopération et l'action culturelle Française.

De plus dans le cadre de la politique de promotion socio-économique des communautés rurales menée par les pouvoirs publics, il a été remédié à l'enclavement de la ville grâce à la construction d'une piste compactée reliant la ville à la capitale régionale, Atar.

En outre, l'émigration des familles en raison des impératifs de la scolarisation de leurs enfants, a été ralentie par la création de nouveaux établissements scolaires, primaires et secondaires dans la ville.

Enfin un net regain d'intérêt de la diaspora de Ouadane pour sa ville, s'est traduit par un mouvement d'investissements significatifs au niveau de la cité.

Ces investissements créent des emplois, contribuent à fixer la population dans son terroir et encourage le retour des ressortissants de la ville contraints d'émigrer faute de moyens de subsistance minima. C'est dire que la ville est en train d'émerger du déclin où un ensemble de facteurs tant endogènes qu'exogènes l'ont graduellement enfoncée.

Aujourd'hui, Ouadane est un département d'environ 4000 habitants en plein expansion. Son économie est basée sur la cueillette saisonnière des dattes, le petit commerce et les cultures maraîchères dont la production est entièrement destinée à l'exportation vers les grands centres urbains du pays. Ce département bénéficie également des retombées d'un tourisme culturel qui semble prendre de l'ampleur au fil du temps.

Conclusion

En guise de conclusion, l'on peut dire que Ouadane qui a connu une présence humaine continue depuis la préhistoire a été un creuset de brassage et de métissage entre différents groupements humains venus d'horizons divers. Et en raison de sa position géographique privilégiée, cette ville a été, 5 siècles durant, un véritable port du désert par lequel transite le commerce caravanier trans-saharien et qui a pendant un temps, attiré les traitants européens engagés dans le commerce Atlantique.

Ouadane, a, par ailleurs, été un phare culturel qui a pendant longtemps rayonné sur toute la sous-région.

L'on peut également dire que Ouadane est en passe d'émerger du déclin qu'elle a connu du fait de certaines contingences historiques ; et qu'elle est enfin en train de renaître de ses ruines, au propre et au figuré, pour partir à l'assaut d'un avenir, qui semble prometteur à bien des égards.

Bibliographie

1-Mauritanie,des Origines au debut de l'histoire.par Robert Vernet
2- l'histoire du Maghreb.par Abdellah Laroui.collection Maspéro
3-The Golden Trade of the Moors.par E.W Bovill. Oxford University Press
4-La Mauritanie à travers les ères.par Isselmou Ould Mouhamed Hady (arabe). Imprimerie Atlas
5- Nomadisme .Islam et Pouvoir politique dans la Société Maure pré-coloniale(11eme siecle-13eeme siecle).par Abdel Wedoud Ould Cheikh.ParisV.Renés Deartes.1985
6- The djil Salt industry, its role in the pre-colonial economy of Western Sahara.ElisabethAnn Mc Dougell 1980 dissertationInformatician service
7- Bilad Shinguit-le Minaret et le Ribat.El Khalil O/ Enahoui.Tunis 1987(arabe)
8- The Piligrimage of Ahmed ,son of little bird of Paradise. H.T Norris.ArisL Phillips ltdm Werminster, England.

Bibliographie

-Alvis Da ca da Mosto (1455-1456)
dans : **The voyages of Dacadamostoand other documents on Western Africa in the second half of the 15the Cetury.**

- Pacheco Pereira. dans **Esmeraldo de Situ Orbis .**

-Valentino Fernandes: (1506-1507)
dans **Description de la côte d'Afrique du Centre au Senegal.**
-Raymond Money. dans **Tableau Geographique.**
-Ibn Batouta. dans **Voyages.**
-Capitaine H. Vincent.dans **Voyage d'exploration dans l'Adrar, Revue Algerienne et Coloniale,** *Octobre 1860.*
-Raymond Money. **dans Expedition Marocaine d'Ouadane vers 1543-1544.**

D'autres facteurs apparus ultérieurement, ont aggravé encore davantage ce déclin, en l'occurrence les sécheresses successives qui se sont abattues sur le pays en général, et sur l'Adrar en particulier et dont la plus longue et la plus dévastatrice a été celle qui a duré de 1969 à 1974.

Aux effets cumulés de ces sécheresses, se sont ajoutés les conséquences de l'insécurité qu'a connu la région de Ouadane durant la guerre du Sahara occidental ; sans oublier l'enclavement de la ville et son éloignement des principaux centres urbains du pays.

2. Atrophie Sociale

Les conflits intra et inter-tribaux ont causé un dépeuplement de la ville de Ouadane, ainsi, le conflit qui a éclaté entre les deux tribus Travrella et Temegouna au 16ème siècle a contraint Tavrella, vaincue, à émigrer de Ouadane vers le sud Mauritanien notamment . à Tigamatine ou elle s'est établie pour toujours.

Au 18ème siècle, des dissensions internes entres certaines fractions des Idawalhaj, ont été à l'origine de l'émigration d'une partie de cette tribu vers le sud et l'est mauritanien notamment vers le Trarza et l'Assaba ou l'illustre leader politique et spirituel de cette tribu, Lemrabot Sidi Mahmoud Ibn Moctar, a constitué au tour de lui, la puissante confédération tribale des Ahl Sidi Mahmoud.

Au 19ème siècle et au début du 20ème, cela a été le tour de la tribu Kunta d'émigrer en partie vers le Hodh et l'Azawade suite aux divers conflits qui l'avaient opposée à d'autres tribus de la région.

Le déclin économique de Ouadane et la raréfication des activités rémunératrices qui en découlent, ont provoqué une hémorragie sociale qui s'est traduite par une émigration soutenue de la population active de la ville vers les pôles d'attraction du pays (Atar, Nouadhibou, Zouerat, Nouakchott, etc.....)

Plus tard, le souci de scolarisation de leurs enfants, a conduit de nombreuses familles à émigrer de Ouadane vers d'autres villes du pays où ces enfants peuvent poursuivre leur scolarité.

3. Régression culturelle

L'amenuisement des ressources économiques de la ville et le dénuement de sa population ont favorisé l'exode et ont abouti à un recul considérable de l'activité culturelle. Ainsi l'enseignement traditionnel a quasiment cessé

d'exister et les mahadras d'antan ont pratiquement disparu ; De même les bibliothèques naguère bien fournies, ont été du fait de l'émigration de leurs propriétaires, laissées à l'abandon.

Les livres et les manuscrits qu'elles contiennent se dégradent et s'éparpillent, tant et si bien que de l'immense patrimoine culturel de Ouadane il ne reste aujourd'hui qu'une vingtaine de bibliothèques squelettiques dont les ouvrages sont mal conservés et mal protégés contre les intempéries et les autres facteurs dégradants.

Renaissance de la ville

Depuis la fin des années 1970, un ensemble de conditions propices à la renaissance de Ouadane se sont progressivement réunies. C'est ainsi que l'UNESCO, lors de sa conférence de 1978, a retenu le principe d'engager une compagne de sauvegarde de villes anciennes Mauritaniennes dont Ouadane.

Puis le 16 février 1981, le Directeur Général de l'UNESCO, Amadou Mahtar Mbow, a lancé en présence du Directeur de l'ALECSO, un appel pour sauvegarder la ville de Ouadane ainsi que les 3 autres villes anciennes de Mauritanie.

Le même appel a été renouvelé par Frédérico Mayor en 1988.

Il a été par la suite décidé qu'en tant que ville classée patrimoine de l'humanité, Ouadane devra être protégé, son site sauvegardé, ses bibliothèques réhabilitées et préservées et ses manuscrits restaurés et conservés.

Ouadane a également pu bénéficier d'une campagne subséquente en faveur des villes anciennes de Mauritanie.

D'autres actions propices à la renaissances de la ville, consistant en la promotion du mouvement coopératif et en l'impulsion des activités agro-pastorales, ont été menées soit à l'aide des ONG caritatives soit dans le cadre de la coopération bilatérale ou multilatérale.

Dans le domaine culturel, des activités promotionnelles visant à réhabiliter les différents aspects de l'héritage culturel historique de la ville, ont également été entreprises.

Dans ce cadre, un travail méritoire de reconstitution des bibliothèques locales, de restauration de manuscrits, de collecte d'objets d'art et de matériel lithique du cru en vue de leur conservation dans un musée construit à cet effet, a été accompli

grâce aux rotations incessantes des caravanes, ont été les principaux facteurs qui ont sous-tendu l'essor culturel remarquable que Ouadane a connu des siècles durant.

Il faut cependant préciser qu'avant l'avènement de l'administration coloniale française, l'accès à la culture au niveau de Ouadane, comme c'était le cas partout en Mauritanie, était essentiellement l'apanage des tribus Zawaya ou maraboutiques, tandis que les autres tribus n'y avaient qu'un accès limité, qui était d'ailleurs fonction de la position qu'elles occupaient au sein de la pyramide sociale.

2. Mode traditionnel de transmission du savoir

A Ouadane, comme partout en Mauritanie, la transmission du savoir s'effectuait dans les institutions éducatives traditionnelles appelées MAHADRAS.

Dans ces institutions, était dispensé, un enseignement qui variait de l'alphabétisation à l'érudition.

Les disciplines qui y étaient enseignés en plus du Coran, étaient : les sciences linguistiques de la langue arabe, la théologie, la jurisprudence, l'astrologie, l'arithmétique, l'histoire, la généalogie, le secret des lettres ou la science infuse. etc.....

Le matériel didactique mis en œuvre était rudimentaire, il consistait en une planchette de dimensions variables appelée « Lawh » sur lequel étaient écrits les textes à réciter,

- une pierre évidée qui sert d'encrier (appelée Dwaya)
- un rôseau épointé qui sert de plume (appelé calam)
- un mélange de poudre de charbon et de gomme arabique dilués dans l'eau pour servir d'encre (appelé Sengha) malgré la modicité des moyens mis en œuvre, les Mahadras de Ouadane étaient si nombreuses et ceux qui en sortaient si pléthoriques qu'à un moment donné, il y avait eu en ville, une rue ou il y avait, dit-on, 40 maisons successives habitées par des érudits aussi illustres les uns que les autres, appelée rue des 40 savants, ainsi que l'a rapporté Taleb Ahmed Ould Tweir El Jenne dans son livre : Rihlet EL Mouna Wal Minna

De plus le rayonnement extérieur des Mahadras de Ouadane était tel qu'elles avaient attiré des litérati Mauritaniens aussi célèbres que Ould Razgue, Taleb Ahmed Ould

Ben Lamèche, Sid Ahmed Boulawtad, etc...

Ce rayonnement avait une portée telle qu'en Libye, il y avait un adage populaire qui disait, «il n'y a de dattes que celles de Fezane il n'y a de savoir que celui de Ouadane».

Quand à la quantité de livres et de manuscrits accumulés à Ouadane, elle était prodigieuse.

A cet égard, l'auteur anglais H.T.Norris rapporte dans son livre : The Piligrimage Of Ahmed Son Of Little Bird Of Paradise , qu'à son retour de pèlerinage en 1835, Taleb Ahmed Ould Tweri EL Jenna, a amené à Ouadane 30 Chameaux chargés de livres.

Déclin de la ville de Ouadane

Après une prospérité qui a durée environ 5 siècles, la ville de Ouadane, a connu un déclin économique, social et culturel, qui a commencé vers la fin du 17ème siècle, s'est aggravé au début du 20ème siècle pour culminer durant les années 1970.

1. Recul économique

Le développement à partir du 17ème siècle du commerce Atlantique, le déversement sur les marchés européens de l'or et de l'argent de l'Amérique du sud d'une part et l'apparition du commerce triangulaire d'autre part, ont conduit au recul graduel du trafic trans-saharien dont Ouadane tirait toute sa prospérité.

Par ailleurs, l'intérêt croissant des puissances européennes pour la gomme arabique a déplacé les courants d'échanges entre Européens et Mauritaniens vers la partie sud-ouest du pays ; ce qui a accentué le rétrécissement des échanges caravaniers et à, par conséquent, réduit les rotations des caravanes qui passaient par Ouadane pour y effectuer toutes sortes de transactions bénéfiques pour la ville.

Jusqu'au 31 juillet 1909, date à laquelle Ouadane est passé sous contrôle de l'administration coloniale Française, cette ville profitait encore, peu ou prou, du trafic caravanier qui s'effectuait entre le sud Marocain et la région Soudano-Sahélienne.

Mais l'avènement de la colonisation, les mouvements de résistances armées qu'elle a suscités ça et là, et les découpages administratifs de la sous-région en fonction des impératifs sécuritaires, ont conduit à un enclavement quasi total de Ouadane, qui a commencé depuis lors à péricliter sur tous les plans.

entrepôt de sel de Djyll et dont les habitants se nourrissent d'orge, de dattes et de lait de chamelles.

Le Vénicien Alvise Cadanostro, au service de l'Infant du Portugal indique, lui, en 1475 que Ouadane est : « un centre de commerce d'esclaves et d'or où il y a de nombreux arabes » ; un autre chroniqueur portugais du 15ème siècle écrit : « Derrière le cap blanc, se trouve un lieu appelé Ouadane qui est situé à l'intérieur des terres à une distance de 6 journées de chameaux. Là arrivent les caravanes qui viennent de Tombouctou et d'autres régions des Noirs pour commercer avec les berbères et au-delà ».

Enfin au début du 16ème siècle, le voyageur portugais Duarté Pacheco Pereïra écrit : «Dans la ville d'Auden, il y a un grand commerce d'or qui était en plus grand nombre avant que la mine et la rivière de la Guinée ne soient découvertes».

Par conséquent, en raison de toutes ces informations réunies sur Ouadane, la ville, devenue notoire, commence à apparaître sur les planisphères Européens en tant que ville relais Mauritanienne au carrefour des principaux axes du commerce trans-saharien.
Frappés par l'ampleur des échanges commerciaux qui s'effectuent à Ouadane, et désireux de tirer profit de ce commerce caravanier trans-saharien, les portugais fondent en 1487, une factorerie aux environs de Ouadane, dont le site, serait d'après la tradition orale, le lieu dit Agweïdire situé à 21 km au nord de la ville.

Selon Pacheco Pereira, le chef de cette factorerie se nommait Roderigo Reineln, écuyer du roi Jean II.

Cet établissement n'a cependant pas duré longtemps, en raison de l'hostilité des autochtones envers les Portugais.

A cet égard, Monsieur Abdel Wedoud Ould Cheikh, dans sa thèse de Doctorat intitulée : Nomadisme, Islam et pouvoir politique dans la Société Maure Pré-coloniale, tome I, page 89, écrit : «Nous ignorons dans quelles conditions, il a été mis un terme à cette présence Portugaise à Ouadane et à quelle date exacte se situe la fin des activités commerciales de l'Etablissement qu'ils avaient installé dans la cité des Idawalhajs».

Pendant leur séjour aux environs de Ouadane, les portugais vendaient aux populations locales et aux caravaniers de passage une large gamme d'articles dont la liste dressée par Valentino Fernandès

s'établit comme suit : «des draps de couleur ordinaire, bleue et rouge, des toiles de lin de toutes espèces, des albarnozes (des burnous), des aicas (haïcs ?), des selles, des étriers, des cuvettes, du corail rouge, de l'argent, du blé, du miel, du safran, du poivre, des clous de girofles».

Les portugais, quant à eux achetaient à Ouadane les cuirs, les laines, les dattes, les graisses, le tanin, les plumes et les œufs d'autruches, etc....

Au vu de tout ce qui précède, il est donc loisible de dire, que du 14ème au 19ème siècle, c'est-à-dire pendant 500 ans Ouadane a été un pôle économique relativement florissant.

VI. Rayonnement culturel de Ouadane

L'islamisation des tribus berbères de l'Adrar dont la plupart des habitants de Ouadane sont originaires et leur arabisation consécutive à l'arrivée massive des arabes dans la région, ont été à l'origine de la naissance et de l'essor prodigieux, de la culture Arabo-islamique dans les cités Sanhaja en général, et à Ouadane de façon particulière.

1. Facteurs sous-jacents

L'islam est un dogme qui comporte, entre autres un système complexe de normes morales et juridiques qui codifient et réglementent tous les aspects de la vie en société.

Or la compréhension du Coran et de la Tradition du prophète Mohamed, qui sont les références ultimes de ce dogme, nécessite, la maîtrise de la langue Arabe ce qui, à son tour, requiert l'étude approfondie de la philosophie, de la grammaire, de la rhétorique, de la logique, de la métrique, etc... ainsi que l'étude systématique de la théologie, de la liturgie, de l'exegesè du Coran, de la jurisprudence etc...

Les activités intellectuelles entreprises pour l'acquisition de compétences linguistiques et pour l'approfondissement des connaissances théologiques, ont, à terme, conduit à l'apparition de fonctions cléricales qui ont été dévolues aux tribus dites Zawaya dans le cadre de la division du travail, au sein de la société poste-islamique qui s'était petit à petit mise en place à Ouadane.

Les retombées du foisonnement intellectuel qui se déroule dans le monde islamique sous diverses influences, les doctrines diffusées par les marchands et les prosélytes Arabes de passage à Ouadane, et les livres traitant de toutes les discipline apportés du Maghreb de l'Andalousie et du moyen orient,

résultante d'un brassage entre diverses communautés bien intégrées malgré leurs origines distinctes.

ب. *Essor économique de Ouadane*

De par la position géographique privilégiée qui est la sienne, Ouadane avait vocation à jouer un rôle important tant dans le commerce trans-saharien dont les circuits sont établis dans la région depuis l'antiquité que dans le commerce Atlantique initié par les portugais depuis leur installation sur les côtes Mauritaniennes à partir du 15ème siècle.

Ouadane est comme nous l'avons vu, situé dans l'espace vital des tribus Lemtouna et Messoufa dont les voyageurs arabes Ibn Hawkal du 10ème siècle et Ibn Batouta du 14ème siècle, ont dit qu'elles contrôlaient entièrement l'axe routier : Sijilmassa – Ouadane – Tichit –Walata - Tombouctou.

Du 12ème au 13ème siècle, Ouadane était donc un foyer économique où s'effectuait l'échange des produits d'origine animale contre les produits agricoles. Autrement dit c'était un point de jonction entre l'économie pastorale des nomades et l'économie Oasienne sédentaire.

1. Commerce trans-saharien

Par la suite, Ouadane devient un important relais caravanier de commerce trans-saharien par lequel transitaient en provenance du nord des caravanes chargées de sel extrait de Kédiet EL Jyll, des dattes, d'orge, de blé d'épices, de métaux, des tissus, de parfum en partance pour les centres méridionaux de Tichit, de Walata et de Tombouctou ; et en provenance du sud, des caravanes transportant l'or, les céréales, l'ivoire, les esclaves, les tissus teints à l'indigo, tissu qui soit dit en passant ont été introduits en grande quantité par les anglais depuis le 16ème siècle et qui deux siècle plutard, deviennent l'habit par excellence des Maures ; ce qui a valu à ceux-ci l'appellation d'hommes bleus.

La position géographique de Ouadane et sa proximité des salines de Kediet EL Jyll ont fait qu'il a été un grand carrefour caravanier et un centre d'échange très fréquenté cela n'a pas manqué d'attirer l'attention des portugais et des marocains.

C'est ainsi que parlant des salines de Kediet EL Jyll, le voyageur portugais Alvise Dacadamosto, les a situés à 6 jours au-dessus de «Hoden» c'est-à-dire Ouadane. Evoquant ces mêmes salines,

Valentino Fernandes dit: «à deux lieues de cette montagne d'ygild, se trouve la montagne d'où est extrait le sel qui est apporté à Oaden, à Tombouctou et autres localités».

Lors des expéditions militaires lancées par les rois Saadiens Mouhamed Cheikh et Ahmed El Mansour Eddahbi contre l'empire Songhaï successivement en 1544, en 1584 et en 1591, les armées marocaines ont à chaque fois pénétrés Ouadane sans toutefois s'y attarder.

Le chroniqueur espagnol Marmol qui étaient de la dernière expédition a écrit : «comme nous restions en cette ville de Ouaden, avec le chérif qui voulait attaquer les Nègres en la compagnie des arabes et plusieurs peuples du désert, nous apprîmes que le Roy de Portugal (Jean II) s'était associé pour le commerce avec le Chèque de la ville, afin d'aller trafiquer à Arguine qui est à 70 lieues de là, du costé du couchant».

Les armées marocaines n'ont cependant pas cherché à occuper la ville ni à s'emparer des salines de Djyll qui se trouvent à sa proximité.

Ces salines ont demeuré entre les mains de la tribu Kunta de Ouadane.

Le capitaine français Vincent, qui a visité ces salines en 1860, a estimé la quantité de sel qui en était extraite à 20 000 charges de chameaux soit environ 4000 tonnes par an. L'exportation du sel de Kediet EL Jyll vers la zone soudanaise a continué d'ailleurs jusqu'aux premières décennies du 20ème siècle et ce à raison de 50 à 60 000 barres par an.

2. Commerce Atlantique

A partir de la 1ère moitié du 15ème siècle, les portugais commencent à avoir un intérêt réel pour les côtes Mauritaniennes, puisqu'ils y établissent des comptoirs dont le plus significatif a été celui d'Arguine établi en 1441. Puis ils commencent à mieux s'informer sur les grands centres du commerce caravaniers à l'intérieur du pays.

Et Ouadane a été l'un des carrefours du commerce trans-saharien auquel ils se sont particulièrement intéressés. Plusieurs chroniqueurs Portugais et Européens, à leur service, l'ont expressément mentionné dans leurs différents récits.

Ainsi en 1447, le voyageur portugais Joao Fernandes, parle dans ses chroniques, de Ouadane et de ce qu'il a appelé «ses figuiers d'enfer».

Il a notamment indiqué que Ouadane était une ville de 400 habitants et un

arrivés à l'emplacement actuel de Ouadane sur lequel il y avait déjà des villages dont on a mentionné les noms auparavant.

Ces 4 hommes provenant d'Aghmat et qui étaient des disciples du cadi Ayadh de Ceuta, étaient-ils arrivés dans la région sur leur chemin pour les lieux saints de l'Islam ? ou étaient-ils contrains à l'exile pour fuire la répression Almoravide qui s'abattait sur les adeptes de la nouvelle doctrine Al Mouahade ? on ne sais pas trop.

Toujours est-il que ces 4 pèlerins ou Hadj en l'occurrence : EL Hadj Ali, EL Hadj Yacoub, EL Hadj Outhmane et EL Hadj Abderrahmane Essaem ont décidé de s'installer pour toujours près de Tavrelle, Tamegouna et Colona pour fonder un village propre à eux.

Ils ont commencé d'abord à ériger une mosquée autour de laquelle ils ont bâti leurs maisons qui deviennent le noyau de la vieille cité qui porte aujourd'hui le nom de Ouadane et à laquelle nous nous intéressons ici.

2. Etymologie de Ouadane

L'origine et la signification de l'appellation de la cité de Ouadane a été sujette à controverse.

Ainsi, Cheikh Sidi Mohamed Ould Cheikh Sidi EL Moctar El Kounti estime dans son ouvrage, Errissala Al Ghallaouia, que le mot Ouadane est une déformation du mot berbère : Lanwalane, qui signifierait le sanctuaire ou les animaux susceptibles d'être pris pour gibier viennent se réfugier. Cette interprétation a été reprise et entérinée par Cheikh Sidiya Baba dans son livre : Les Emirats d'Idawiche et de Machdouf.

Un autre ancien auteur Mauritanien Ould M'Bouja, a, dans son écrit Fatah Bab Al Ghafour, corroboré ces interprétations en substituant cependant le mot Nwaran au mot Lanwalane.

Taleb Ahmed Ould Tweir EL Jenna, citant son maître Sidi Abdoullah Ould el hadj Brahim, soutient quant à lui, dans son livre Tarikh Ould Tweir El Jenna, que l'appélation de cette cité dont il est originaire, est Ouadane, mot arabe qui signifie: «deux vallées, une vallée de savoir et une vallée de palmiers dattiers» a-t-il précisé.

En tout état de cause que l'appellation initiale donnée à la cité par les pèlerins fondateurs soit Lanwalane arabisée en Ouadane, ou qu'elle soit Ouadane berbérisée pour un temps en Lanwalane ou Nwarane, le fait est qu'aujourd'hui la ville

s'appèle Ouadane ce qui signifie deux vallées en langue arabe.

3. Formation du tissu social actuel de Ouadane

La composante la plus significative en terme de nombre du tissu social de la ville de Ouadane á sa fondation, fut la descendance des 4 pèlerins fondateurs.

Ainsi, les descendants d'EL Hadj Ali appelé Idawbje et Louteïdat, ceux d'EL Hadj Outhmane appelés Awlad EL Hadj, ceux d'EL Hadj Yakoub, appelés Idayakoub et ceux d'EL Hadj Abderrahmane Essayem, appelés Essiyam ont formé les 4 fractions constitutives de la tribu des Idawelhaj qui avait établi son ascendance sur la ville dont elle se considère la fondatrice et par conséquent la propriétaire initiale.

Les Idawalhej, les habitants originels des villages avoisinants, le fonds résiduel du peuplement noir sur place depuis la pré-histoire, les immigrants arabes et autres, ayant cohabité pendant des siècles, ont formé un tissu social plus ou moins intégré que d'aucuns ont appelé : Elhajiin.

4. Arabisation de la Population de Ouadane

Les tribus arabes Béni Hassane descendant de Beni Hilal installées au Sahara occidental depuis le 11ème siècle, ont commencé leur pénétration en Mauritanie au 15ème et au 16ème siècle.

Au départ, les relations entre les arabes Bénis Hassane et les berbères Sanhaja étaient plutôt tendues, puis avec le temps, les deux groupements se sont inter-pénétrés et se sont intégrés les uns aux autres.

Les Sanhanja qui se sont convertis à l'Islam ont progressivement adopté l'arabe classique comme langue liturgique et le hassania qui en dérive, comme lingua Franca utilisée pour la communication entre les Arabes et les Berbères partout en Mauritanie.

Les Bénis Hassane qui ont établi un Emirat en Adrar au 17ème siècle se sont installés dans les cités qu'ils ont petit à petit arabisées. Ainsi au milieu du 17ème siècle, la tribu arabe Kunta, fraction EL Moutghambrine est venue s'installer à Ouadane aux côtés des Idawellajs et des autres composantes de la société Ouadanoise.

Le tissu social actuel de Ouadane, constitué des Idawallaj, des Kunta, des Amgarij, de diverses familles chérifiennes, des Aghazazir, des haratines de différentes provenances et autres éléments est en fait, la

actuelle était déjà habitée par une confédération tribale Berbère appelée : SANHAJA, qui était constitué des tribus Lemtouna, Gdala et Messoufa.

L'Adrar appartenait à la tribu Lemtouna d'ou l'appellation jebel Lemtouna par laquelle on a pendant longtemps désigné cette région.

Cette tribu qui s'adonnait au commerce avait des tendances sédentaires marquées. Puisqu' elle avait édifié sur son espace vital un certain nombres d'agglomérations que l'on a appelées les cités de Lemtouna.

Parmi celle-ci : Tenyeftel, Tavrella, Tamegouna et Colana érigéss aux abords du site actuel de la ville de Ouadane et dont les ruines demeurent jusqu'à présent visibles.

En 711, quand le Maghreb était totalement soumis à l'Islam, après la chute de l'Empire Byzantin de Carthage, et la mort de l'empereur Patrice Grégoire, et après la défaite et la mort du souverain Zénétes Kousseila et EL Kahina, la tribu Lemtouna de l'Adrar ainsi que les tribus Sanhaja étaient déjà comme nous l'avons vu du fait de leur bref contact avec le christianisme et le judaïsme, de vagues monothéistes et donc réceptives au nouveau dogme apporté par les Arabes.

4- L'Islamisation et son impact économique et socio-culturel

La chute de l'empire byzantin lequel empire, gênait le mouvement entre le Sahara et l'Afrique du nord, la défaite de ses alliés Zénète, le dynamisme des marchands Arabes, l'ardeur de certains prosélytes Musulmans, la réceptivité des Sanhaja vis à vis de l'Islam et leur relative bienveillance à l'égard des Arabes, pasteurs nomades comme eux, ont été autant de facteurs qui ont favorisé la propagation de l'Islam parmi les Lemtounas de l'Adrar.

Or l'introduction de l'Islam dans les villages Lemtouna au voisinage desquels Ouadane serait édifié ultérieurement, a eu un impact pluri-dimentionnel sur la vie économique, sociale, politique et culturelle dans ces villages et dans tout l'espace ou il se situe.

En effet l'avènement de l'islam introduit une activité culturelle qui n'existait pas avant et qui se traduit par l'acquisition de connaissance à travers la lecture et l'écriture. Il a aussi introduit une dimension spirituelle qui, elle, se traduit par une

liturgie et des pratiques rituelles jusqu'ici inconnues.

En conséquence de nouvelles fonctions liées à la transmission du savoir et à la pratique du culte, sont apparues. La langue Arabe surclasse le « Tifinagh » comme langue de culture et relègue les autres parlers autochtones (comme l'Azeir) au rang de patois à usage réduit.

Les nouvelles fonctions liées aux activités culturelles et spirituelles ajoutées aux fonctions attachées aux activités commerciales, militaires et autres, ont conduit à l'apparition d'une stratification sociale plus prononcée et à la naissance de groupes sociaux aux statuts bien différenciés.

L'établissement des immigrés arabes dans les villages Lemtouna, le nouveau dogme qu'ils ont introduit, la culture et les mœurs qui ont été les leurs, ont familiarisé les Berbères Lemtouna avec le mode de pensée oriental et ont élargi leurs horizons intellectuels ; ce qui à progressivement préparé leurs esprits au mouvement politico-religieux des Almoravides dont l'étendard, a, par la suite été porté par les tribus Sanhaja Gdala et Lemtouna et dont l'effondrement subséquent, s'est accompagné d'un bouleversement qui a affecté tout le Maghreb jusque et y compris les cités Lemtouna de l'Adrar , Ouadane inclus.

ب. Fondation de Ouadane Proprement dit

Le déclin de l'empire Almoravide a commencé à la fin du règne d'Ismaël Ibn Tachefine, sous les coups de boutoir du mouvement Al Mouahad déclenché en 1124 par EL Mahdi Ibn Toumert.

La doctrine Al Mouahad inspirée des courants Moutazilit, Zahirit et Kharijit, prend de plus en plus d'ampleur dans les villes marocaines en particuliers à Aghmat ou le leader de ce mouvement avait fondé une école pour la diffusion de la pensée Al Mouahad ainsi qu'à Ceuta où le Cadi Ayadh s'employait lui aussi à propager cette même pensée.

Les adeptes avérés de cette doctrine étaient persécutés voire pourchassés par les Almoravides, ce qui les contraignaient souvent à l'exile.

1. Les pères fondateurs

En 1142, c'est à dire 4 ans avant la chute de Marrakech et la mise à mort du dernier roi almoravide, 4 hommes, en partance pour la Mecque, dit la tradition orale, sont

Ces gravures montrent quant à elles, qu'à la fin du néolithique, c'est à dire, à la fin du 1er millénaire avant notre ère, l'emplacement de Ouadane et son espace environnant, connaissaient la présence de pasteurs camelins qui pratiquaient la chasse d'un type de gibiers caractéristique des espaces désertiques.

Qui sont donc ces peuplements qui ont successivement occupé le site de Ouadane et ses abords depuis le paléolithique jusqu'à la fin du néolithique ?

2- Indication sur le peuplement Pré-historique du site de Ouadane et ses environs

En vérité on connaît peu de choses, jusqu'à présent, sur les peuplades qui ont occupé l'espace environnant l'emplacement actuel de Ouadane et ses alentours pendant le Paléolithique.

Il semble toutefois qu'il ait été possible d'établir, grâce aux mesures anthropométriques effectuées ça et là que ces peuplades seraient de race noire sans qu'il soit possible de faire des affirmations trop catégoriques à cet égard.

S'agissant des populations qui s'étaient établies au nord de la Mauritanie depuis le 3ème millénaire avant J.C, et dont la présence dans les environs de Ouadane a été attestée par les gravures rupestres qu'elles y ont laissées, il a été en revanche possible de les identifier grâce aux écrit des historiens gréco-latins de l'antiquité en particulier Thucydide et Hérodote et grâce aussi à des recoupements et à des déductions logiques.

Ainsi, il a été historiquement établi que le cheval, a été la monture utilisée par les Gétules et les Garamentes lors de leur conquête du Sahara entre le 3ème et le 1er millénaire avant J.C.

Or les Garamentes, les Gétules et les Numides etaient les libyco-berbères connu des Carthaginois et des Romains lesquels Romains se sont toujours efforcés de les refouler vers le Sahara.

Par conséquent la représentation du cheval sur les gravures rupestres existant à Ouadane et à ses alentours (site de EL Ghallaouia) prouve que les Libyco-berbères ont été parmi les occupants de cet espace.

De même la représentation du chameau sur les gravures rupestres de ce même site montre que les pasteurs berbères qui avaient introduit cet animal en Afrique du nord au cours du 2ème millénaire avant J.C ont eux aussi vécu dans

cette région depuis au moins 2000 ans ; ce qui est d'ailleurs corroboré par la présence parmi les gravures rupestres existant de caractères d'alphabet « Tifinagh ».

Tel est sommairement évoqué le fonds de peuplement préhistorique qui a vécu à travers les âges sur l'espace qui englobe l'emplacement de Ouadane, peuplement auquel sont venus s'ajouter divers autres groupements humains à des époques ultérieures.

3- Population anté-Islamique ayant vécu dans l'espace englobant l'emplacement de Ouadane

D'après les évidences documentées, les populations Libyco-berbères qui avaient pendant longtemps vécus aux frontières méridionales de l'Empire Byzantin de Carthage, ont subi l'influence de l'Eglise Catholique depuis le 1er siècle de l'ère chrétienne avant d'être exposées au prosélytisme judaïque après l'expulsion des juifs du territoire Byzantin au VIe siècle; tout ceci avant qu'elles aient été définitivement refoulées par les Byzantins derrière les limes érigés pour la protection des frontières de leur Empire contre ces nomades appelés alors les Mauris.

Ces populations Berbères qui ont partiellement et sommairement été exposées aux préceptes judéo-chrétiens et qui de ce fait, étaient enclines à un monothéisme abstrait, ont, sous la pression des byzantins, essaimé vers le sud, c'est à dire vers le Nord la Mauritanie.

Il y a lieu de signaler dans cet ordre d'idée que la désertification consécutive au dessèchement du Sahara, a amené ces populations à devenir progressivement des camelins nomades en quête perpétuelle de pâturages frais.

Leur présence dans le nord de la Mauritanie actuelle conjuguée avec les effets du dessèchement croissant du Sahara, ont amené les populations résiduelles de la fin du néolithique, à se regrouper dans des zones refuges telles que les vallées, les dépressions et les gorges de manière à pouvoir se sécuriser et subsister grâce à l'agriculture et au petit élevage, ce qui a, sans doute, été à l'origine des oasis.

C'est donc dans des circonstances pareilles que la première oasis a dû voir le jour sur le site actuel de Ouadane.

Il a par ailleurs été établi qu'au VIIIème siècle de l'ère chrétienne la presque totalité de la Mauritanie

l'espace qui englobe cet emplacement.

Je donnerai au passage quelques indications concernant les origines lointaines de ces peuplements.

J'aborderai l'évolution au plan socio-économique et culturel que cette ville a connu depuis sa fondation au 12è siècle, à nos jours.

J'indiquerai ensuite les facteurs qui ont conduit à son déclin qui a culminé au cours de la 2ème moitié du 20ème siècle.

J'évoquerai enfin la renaissance que la ville semble connaître depuis les années 1980.

Quand on visite Ouadane aujourd'hui, l'on s'aperçoit que les ruines de l'ancienne cité occupent tout le flanc sud, d'une falaise escarpée et pentue qui surplombe une palmeraie qui, elle, s'étire le long d'un Oued serpentant d'Est en Ouest.

Aux abords de ce Oued, il y a des talus et des collines sur lesquels il y a des vestiges d'anciens villages aujourd'hui complètement disparus.

Aux environs immédiats de la ville et à ses alentours, le visiteur trouvera plusieurs sites de dessins rupestres dont les plus significatifs sont ceux d'EL Beyed, d'Akweïke, d'EL Ghallaouia, de Sbil, d'Akerdeïl, etc...

En se promenant sur le reg caillouteux au Nord de la ville, le visiteur attentif pourrait récolter : des galets aménagés, des bi-faces, des outils de broyage, des armatures de flèches, etc.....

Sur d'autres sites plus au Nord, il est encore possible de ramasser des outils lithiques plus élaborés.

Une visite aux bibliothèques des familles maraboutiques de la ville, permettra par ailleurs, de se rendre compte de visu, du grand nombre de livres et de manuscrits en langue Arabe encore en possession de ces familles.

Et si le visiteur considérait attentivement les faciès des habitants de la ville, il s'apercevrait immanquablement qu'ils proviennent de souche éthniquement différenciées.

Ce visiteur ne manquera pas non plus, s'il prête un peu d'attention, de constater le nombre relativement important de chantiers en cours tant au niveau de la ville qu'au niveau de la palmeraie.

Ces constats sont autant d'indices significatifs et édifiants qui sont de nature à éclairer la réflexion sur le passé lointain de la ville, sur les

différentes étapes de son évolution historique, sur son présent et ses perspectives d'avenir.

I. Occupations successives du site actuel de Ouadane et ses environs

1- Contexte proto-historique

Le matériel lithique caractéristique de l'époque paléolithique tels que : (les galets aménagés, les bi-faces grossiers) matériel qui a été récolté et qui continue à l'être à Ouadane et à ses environs d'une part, et l'existence de gravures rupestres représentant des éléphants, des rhinocéros, des girafes, d'autre part, montrent que l'emplacement actuel de Ouadane et l'espace qui l'englobe, ont été occupés depuis le paléolithique supérieur c'est à dire depuis au moins 10 000 ans avant notre ère, par des groupements humains aux habitudes grégaires.

L'outillage lithique découvert et le type d'animaux représentés à travers l'art rupestre laissent penser que ces groupements humains dont on ne sait pas très bien la provenance initiale, pratiquaient la chasse ; ce qui implique qu'à cette époque là, le climat était assez humide pour permettre l'existence d'un couvert végétal assez fourni pour rendre possible la présence de ces espèces d'animaux.

La découverte au niveau d'autres sites se trouvant à proximité de Ouadane, d'outils lithiques plus perfectionnés tels que les têtes de flèches dentées, les perçoirs en silex ou en quartz, les meules en granit, les tessons de céramique caractéristiques de l'ère néolithique, ainsi que des dessins rupestres représentant des bovidés attelés ou non (site d'El Beyid), des chevaux avec ou sans chars (site d'EL Ghallaouia), des animaux sauvages du climat humide (sites d'Ebeyed el d'El Ghellaounia), dessins qui remontent eux aussi à l'époque néolithique, montrent, à leur tour que depuis au moins 3000 ans avant J-C, l'emplacement de Ouadane et ses environs ont connu la présence de groupements humains sédentaires, qui à la faveur d'un climat encore relativement humide, pratiquaient, outre la chasse, l'élevage des bovidés, utilisaient les chevaux et s'adonnaient à l'agriculture.

D'autres gravures rupestres qui remontent à 2000 ans avant J.C, comportent des scène de chasse d'addax, d'oryx et d'autruches. Elles comportent aussi des dessins de chameaux (site d'Elghellaouia).

dans les résidence voisines. l'échange de communication et de renseignements, entre les diverses résidences doit donc devenir la règle. Il est essentiel de bannir d'une manière rigoureuse toute tendance à l'isolement qui ne peut qu'être fatale aux populations et fâcheuse pour notre influence».(16).

En donnant au Résident du Tagant les installations qui précédent, le Commissaire du Gouvernement avait voulu simplement résumer les directions générales, qui résultaient de la situation politique du moment et but à atteindre, mais il entendait laisser au Résident toute liberté pour le choix des moyens à employer. Il s'agissait de simples indications qui devaient en rien limiter l'initiative du Résident, pour faire face à des situations dont la variabilité était le caractère dominant.

Renvois

1. Archives Nationales du Sénégal (ANS) 9G20. Rapport n°838 du capitaine Chevaux à Monsieur Le Gouverneur Général, 1903.
2. Archives Nationales de Mauritanie (ANM) E1/9, Rapport du lieutenant Colonel, commissaire du gouvernement en Mauritanie sur les circonstances et les résultats de sa mission dans le Tagant, juillet 1904.
3. N'DIAYE (R.O), Pouvoir et société dans la Mauritanie coloniale 1904-1960, Thèse de Doctorat de 3è cycle, Tunis 1, 1994-95, P.47.
4. GILLIER (C), La pénétration en Mauritanie, Paul Guethner, Paris, 1926, P. 124
5. France Outre-mer, La Mauritanie célèbre le cinquantenaire de la mort de son pacificateur Xavier Coppolani, Mai 1955, N°306, P.11
6. ANS 9G23, Instruction politiques pour le résident du Tagant, 5 Août 1905
7. ANS 9G23, op.cit.
8. ANS 9G23, op.cit.
9. ANS 9G23, op.cit.
10. ANS 9G23, op.cit.
11. ANS 9G23, op.cit.
12. ANS 9G23, op.cit.
13. ANS 9G23, op.cit.
14. ANS 9G23, op.cit.
15. ANS 9G23, op.cit.
16. ANS 9G23, op.cit.

Bibliographie sommaire :

(Sources archivistiques)

- ANM E1/10, Lettre du gouverneur général de l'AOF au ministre des colonies, 24 février 1900.
- ANM E1/12, Rapport du lieutenant colonel, commissaire du gouvernement en Mauritanie sur les circonstances de sa mission dans le Tagant, 1904
- ANM E1/67, Notes sur quelques moyens d'actions propres à diminuer l'influence des confréries musulmanes, 1905
- (ANS, 2G5-9, Mauritanie, Rapports politiques, 4è trimestre, 1905
- ANS, 2G5-10, Mauritanie, Rapport politique mensuel 1905
- ANS, 2G6-5, Mauritanie, Rapport politique 2è triméstre, 1906
- ANS, 2G7-11, Mauritanie, Rapport politique 2è trimestre, 1907
- ANS, 9G22, Rapport Politique portant sur l'extension de l'occupation coloniale, 1906
- ANS, 9G21, Lettre de Coppolani au gouverneur général, 1903
- ANS, 9G23, Instructions politiques pour le résident du Tagant, 1905

ANS 9G24, Situation politique de la Mauritanie après la mort de Coppolani, 1906.

OUADANE
ENTRE HIER ET AUJOURD'HUI

Par/ Mouhamed Lemine
Ould EL KETTAB.

Introduction

1- Occupations successives du site actuel de Ouadane et ses environs
1- Contexte protohistorique
2- 2- Indications sur les peuplements préhistoriques du site de Ouadane et ses environs
3- 3- Populations anti-islamiques ayant vécu dans l'espace englobant le site de Ouadane
4- L'Islamisation, son impact économique et socio-culturel

II- Fondation de Ouadane Proprement dit
1-Les pères fondateurs
2- Etymologie de Ouadane
3- Formation et évolution du tissu social actuel
4- Arabisation de la population de Ouadane

III- Essor économique de Ouadane
1- Commerce trans-saharien
2- Commerce atlantique

IV- Rayonnement culturel
1- Facteurs sous-jascents
2- Mode traditionnel de tansmission des connaissances

V- Declin de la ville de Ouadane
1- Recul économique
2- Atrophie sociale
3- Regression culturelle

VI- Renaissance de la ville

Conclusion

La ville de Ouadane, objet de cet exposé, se situe à l'extrémité du dorsal de l'Adrar à 220km au Nord d'Atar et à 100km au nord est de Chinguitty.

Dans cet exposé, je m'attacherai à évoquer les traces laissées par les divers peuplements qui ont successivement occupé l'emplacement actuel de Ouadane et

leurs intérêts. La situation, que nous avons donné aux Kounta, ne sera en rien préjudiciable à celle qui pourra leur être faite»(13).

En effet, ces garanties générales de principe visaient un seul objectif : poursuivre d'une manière ininterrompue et obstinée par tous les moyens possibles de dessein politique de COPPOLANI et d'amener peu à peu les diverses tribus de IDAWICH à entrer séparément en relation avec la France, par l'intermédiaire de leur chef particulier et de leur Djémâa.

«Si l'un de ces groupes se décidait à une démarche de ce genre, il faudrait le traiter avec la plus grande considération et l'amener, suivant les circonstances, par les avantages qui lui seraient immédiatement consentis de la fraction seraient plus utilement sauvegardée et défendue séparément par Djémâa que lorsqu"ils sont confondus dans la masse de la tribu. Ainsi se développerait; il accentuera la politique de division jusqu'au moment où l'autorité du chef ayant été, ou ruinée ou simplement ébranlée, il serait possible de refaire ultérieurement l'unité des intérêts en groupant les diverses djémâa en une confédération composée de membres élus»(14). Et au Commissaire d'ajouter «latitude naturellement comme sanction le paiement d'une indemnité de guerre dont le taux variable sera gradué suivant la part prise par chaque fraction à la résistance qui nous a été oppose pourra ainsi entrer en ligne de compte pour atténuer ou graver les e effets de cette mesure le plus ou moins bon vouloir dont les fractions auront fait preuve pour venir à nous dans les conditions indiquées. Il devra être ordonné aux Idawich de déposer un certain nombre de fusils» «indépendamment des deux conditions qui précédent il est une condition qui devra être imposée d'une manière stricte à l'une des fraction, c'est la remise à l'autorité française du cononnier, qui l'année dernière s'est réfugié chez les Idawich après s'être rendu coupable, au poste du Mal, d'une tentative de meurtre sur le lieutenant COUPAYE» (15).

La politique de désarmement des Idawichs qui devait être appliquée avec ménagement avait pour ressortissant final de mettre ces derniers hors d'état de prendre l'initiative des agression, tout en leur permettant de protéger leurs campements et leurs caravanes, les désarmements devait aussi conduire à aplanir les rapports de force en présence dans la régions.

- *TRIBUS DIVERSES*

- A l'égard des autres tribus qui au moment de la venue des français occupaient aussi le Tagant conjointement avec les Idawich, et qui l'avaient évacué, «nous devons continuer à les atténuer à nous favoriser leur installation, les engager à reprendre leurs cultures et à poursuivre l'élevage de leurs troupeaux».

- Vis à vis des tribus installées au Sud et sud-est notamment dans le Regeibat et l'affolé et le Hodh, comme les Ahel Sidi Mahmoud. Les Souaker, les Oulad Nacer, les Mechdouf etc. «il y a lieu de poursuivre la politique en cours qui consiste à rester en relation avec elles d'une façon continue pour éviter quelles ne subissent trop l'influence des Idawich». Toutes ces tribus avaient fait leur soumission, mais ces soumissions étaient de fraîche date, le plus anciennes ne remontaient pas à plus de deux ans. La France craignait donc que la présence des Idawich qui s'étaient installés au milieu d'eux ne soit un motif de groupement de résistance et peut être d'hostilité nouvelle.

- Quant aux tribus installées à l'Est de Tidjikja dans la région de Tichitt (charfa, Mihan, Oulad Billa et Macina), il s'agissait des populations maraboutique qui s'adonnaient au commerce et qui avaient plus ou moins bien accueillie les démarches françaises. «Il convient de ne pas les négliger, elles peuvent nous être d'une très grande utilité par l'appui de leurs caravanes».

IV- RELATIONS AVEC LES RESIDENCES LIMITROPHES

Les nécessités de la vie nomade imposaient aux tribus des mouvements qui chevauchaient sur plusieurs régions et qui ne pouvaient être arrêtés par les limites purement conventionnelles des résidences. Les razzi dont ces populations étaient également victimes de la part des pillards suivaient des itinéraires développés sur des étendus considérables et traversaient parfois plusieurs résidences. « =il importe donc pour assurer l'efficaccité et la continuité de la politique et des moyens de surveillance, de défense et de protection que les divers résident se tiennent mutuellement et d'une manière continue au courant des mesures prises dans leur région et qui peuvent avoir une répression

successivement par les chefs et les Djemâa des diverses tribus. C'était en somme transformer la soumission collective déjà faite en une série de soumission individuelle et atteindre du premier coup le résultat que d'une façon générale recherchait COPPOLANI et qui consistait dans la ruine de l'autorité des grands chefs militaires des diverses tribus turbulentes et hostiles. A cette autorité individuelle héréditaire, et indépendante qui tenait dans sa main tout une tribu et qui échappait à son action, COPPOLANI se proposait de substituer progressivement les Djémâa des diverses fractions lesquelles composées de membres élus, auraient constitué des pouvoirs d'autant plus souples et maniables permettant ainsi une intervention française dans leur élection. Mais les Idawich n'ayant pas été suffisamment travaillés «c'est donc ce travail politique qui reste à faire. En politique tant que le résultat cherché n'est pas obtenu, il ne faut jamais rester sur ses positions, l'immobilité ne conduit à rien et c'est un peu notre situation réciproque actuelle vis à vis des Idawich. Nous attendons qu'ils exécutent une condition précise qui leur fut antérieurement imposée et eux s'y sont jusqu'ici refusés. Il faut donc chercher à arriver au but par un autre chemin et tous les chemins seront bons qui conduiront à la division des Idawich, et par suite à leur plus complet rapprochement de nous » (8).

Il est toutefois indispensable de se rendre compte que depuis que cette condition a été imposée aux Idawich, la situation s'était considérablement modifiée à leur désavantage. Cela est ni vrai que l'un des premiers soins des Kounta a été de demander aux français la permission de partir en guerre contre les Idawich à propos d'une querelle de troupeaux. Vis à vis de toutes les autres populations qui avoisine le Tagant, notait le Commissaire du Gouvernement Général en Mauritanie «bien quelles aient fait en général leur soumission, le contact est maintenir d'une façon permanente pour y bien asseoir notre situation. Les relations avec toutes ces tribus ne seront jamais trop fréquentes»(9). Quant à l'Adrar «il faut d'abord se renseigner sur l'état exact des sentiments de chacune des tribus, de manière à connaître celles qui sont disposées à nous faire bon accueil ou qui sont simplement mécontentes des événements récents. Les faire travailler par Mohamed El Moctar et Cheikh Sidiya de manière à s'assurer leurs concours ou leur neutralité»(10).

III –LA POLITIQUE AU TAGANT

- Kounta

Le Commissaire du Gouvernement avait ordonné au Président du Tagant de favoriser dans la plus large mesure l'arrivée des campement Kounta au Tagant «au cas ou la mise en marche de ces campements serait retardée par la crainte du pillage dont ils pourraient être l'objet de la part de tribus hostiles placées sur leur itinéraires obligé, il aurait lieu d'examiner si les mouvements de ces campements ne pourraient pas être combinés avec le jeu de nos reconnaissances ordinaires, de nos convois et au besoin de détachements spécialement commandés à cet effet de manière à garantir à ces campement, la sécurité nécessaire à leurs déplacements. Peut être même serait-il possible de leur prêter momentanément un certain nombre de fusils à tir rapide (armement 7-4) qu'ils reverseraient les mouvements terminés »(11)

Cependant, quelques soient les services qui leur étaient rendu, la France n'accordait les avantages qu'en apportant la plus grande circonspection et la plus extrême réserve. Jamais cela n'engageait l'avenir et laissait toujours à son action politique ultérieure toute son indépendance et toute sa liberté. «En particulier si les kounta en venaient à demander des précisions sur nos intention futures à leur sujet ou des garanties pour leur situation à venir, la solution des ces questions devrait sous le voile de promesses vagues mais toujours bienveillante, être ajournée ou habillement éludée. Pour que la situation privilégiée que les circonstances nous ont amenés à faire aux Kounta, ne soit pas la mises par eux à profit dans un sens qui porterait le plus grand trouble et le plus grand préjudice à votre action politique envers les autres tribus, il est essentiel que les Kounta s'abstiennent de tout acte de provocation, d'hostilité ou de pillage vis à vis de qui que ce soit. Cette condition doit leur être rigoureusement imposée comme l'une des plus légitimes conséquences de la protection que nous leur accordons »(12).

-IDAWICH :

«Nous devons adopter vis à vis des Idawich une attitude qui les mette en confiance. Il faut qu'ils aient tout d'abord la certitude que sils reviennent vers nous, il n'en résultera pour eux aucune diminution de situation et qu'en particulier nous leur imposerons aucun traitement défavorable qui pourrait coûter à leur amour propre en porter atteinte à

bataille meurtrière opposa FREREJEAN et les Siens à Bakar Ould Soueid Ahmed à Bougadoum. «parmi les morts, se trouve Bar, le vieil émir de quatre vingt dix sept ans, notre ennemi irréductible, habile guerrier qui avait traité avec tous les gouvernements français depuis louis Philippe, et se vantait d'avoir battu toutes les tribus maures jusqu'à Tombouctou et d'avoir même vaincu Faidherbe »(4). Toutefois la disparition de Bakar ne démotiva point les opposant à la présence française en Mauritanie. Ces derniers formèrent leur groupe à Chinguetti et se mirent en marche sur Tidjikja où il arrivèrent le 12 mai de même année. Des coups de feu se firent entendre, plusieurs conquérants furent abattus, parmi eux Coppolani. Ainsi l'administrateur Corse disparaissait. Mais la grande œuvre accomplie demeurait. Son successeur, après première tournée en Mauritanie écrivait « au cours de mes entretiens avec les chefs diverses tribus, j'ai pu constater l'impression profonde que Monsieur Coppolani avait laissé dans leur esprit. Tous ceux qui l'avaient approché. Se sentaient attirés vers lui par un sentiment de confiante amitié. Je crois pouvoir dire que sa mort a provoqué, chez ces hommes accessibles aux pensées les plus nobles et les plus élevées, des regrets sincères et une réelle admiration »(5).

Tout compte fait, la mission Tagant-Adrar qui était confiée à COPPOLANI avait rempli la moitié de sa tâche ; elle avait installé au Tagant les deux postes d'El Haoussunia et de Tidjikja. La mort de Coppolani mit fin à la mission. Mais le Département donna l'ordre de conserver, de maintenir les positions acquises et de redoubler d'effort politique dans le Tagant. Une colonne de renfort et de ravitaillement fut envoyé, depuis Saint-Louis, sous la direction du Lieutenant –Colonel MONTANE Cap de Bosc, nommé Commissaire du Gouvernement général en remplacement de COPPOLANI.

II –CONSIDERATIONS GENERALES ;

A l'arrivée des français dans le Tagant, les tribus tant guerrières que maraboutique occupaient dans cette région et dans toutes les régions environnantes, des positions, des emplacements et des situations qui représentaient une sorte d'état d'équilibre obtenu depuis environ un quart de siècle par le jeu naturel des forces intérieures du pays. Ainsi

dans les instructions politiques pour le résident du Tagant, le Commissaire du Gouvernement Général en Mauritanie Montagne remarquait que la politique à suivre au Tagant dois s'inspirer de trois situations chronologiques essentielles au s'enchaînent ou doivent s'enchaîner rigoureusement ;

1- Situation originelle et préexistante du moment de notre arrivée

2- Situation qu'à longue échéance nous nous proposons de substituer à la première

3- Situations intermédiaires qui nous sont imposées par l'état social des populations, par la méthode d'influence que nous employons et par les nécessités matérielles qui en découlent.

Il devait ajouter «notre but lointain étant de mettre fin aux querelles intestines, de ramener la paix, de permettre le développement des relations commerciales, en mettant un terme aux pillages, notre premier soin aurait dû être de nous informer de chacune des causes essentielles de ces grandes haines existant ente les diverses tribus principales, pour nous efforcer ensuite, soit de les atténuer, soit d'en prévenir les effets si souvent préjudiciables aux faibles qui les premiers venaient se placer sous notre protection »(6) .

Malheureusement, les circonstances en avaient décidés autrement de la marche de l'action politique française ; dès leur arrivée au Tagant, les Idawich rompirent l'équilibre préexistant qui était en partie leur œuvre, se mirent en hostilité ouverte contre les Français et évacuèrent le Tagant presque uniquement occupé par eux se retirèrent dans le Rgueïbat. « pour faire réoccuper le Tagant, cette attitude des Idawich nous a mis dans l'obligation d'exploiter précisément les querelles préexistantes et de faire appel aux mortels ennemis des Idawichs aux Kounta de Hodh... nous seront même très certainement obligés d'accentuer encore ce traitement de faveur dont bénéficient les Kounta, car ils paraissent devoir être de longtemps encore la seule tribu présentant assez de surface pour pouvoir nous donner appui matériel au Tagant et ultérieurement appui matériel et politique dans l'Adrar » (7).

A l 'égard des Idawichs la politique de division avait conduit à exiger d'eux qu'avant toute chose, la soumission collective qui avait été faite en leur nom par El Housseine soit suivie d'une démarche faite

- La Mahadra est une école tout au long de la vie, pas de limite d'âge, les vieux et les jeunes peuvent y accéder sans contrainte de l'horaire (jour et nuit) ni de temps (et) automne (hiver)

- Une école qui nécessite peu d'investissement 'équipement sous-mains – pas de salaires – pas de bourses)

- La Mahadra constitue : une école de la vie =

❖ Les étudiants se contentent de peu au niveau de la nourriture, ils se respectent et respectent les autres. (La pudeur est cultivée au sein de la Mahadra).

❖ Ils développent des savoir-faire coopératifs (activités agro-pastorales au profit du maître de la collectivité, ils développement aussi des savoir-faire communautaires).

- La Mahadra est aussi une école ludique.

❖ Les étudiants s'adonnent aux joutes intellectuelles (zerg, tekrar) et poétiques (gtaa, mouchaara)

❖ Ils s'adonnent aussi à des jeux d'intelligence (srand, dimraw, dhamat). Les sports les plus connus sont : les courses, le saut, dez, tewd Oumerkoub, Lekaab).

❖ Il s'agit de signaler que la plus part de ces activités physiques et intellectuelles sont en voie de disparition, car il ont été un jour à l'origine de la contribution de la personnalité du mauritanien et lui ont permit de mieux gérer ses rapports insoutenables avec l'environnement national.

❖ Ainsi les participants au colloque ont jugé impératif la sauvegarde de la Mahadra.

C'est aussi que le PSVPCM, dont la vocation est de sauvegarder et de préserver le patrimoine culturel mauritanien, envisage la mise en place d'une stratégie de réflexion et d'information afin d'apporter un appui aux Mahadras qui contribueront le plus à la production et la sauvegarde du patrimoine culturel.

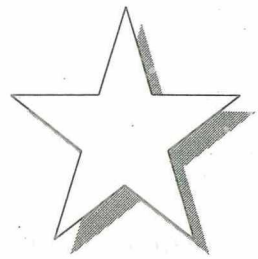

Instructions politiques pour le Résident du Tagant du 5 août 1905

Racine Oumar NDIAYE
Département d'Histoire
Université de Nouakchott

I contexte historique

Dans le cadre d'une application méthodique du plan colonial la France établit une pratique visant à occuper la Mauritanie en progressant du Sud vers le Nord. Après avoir conquis et organisé les régions du Brakna, du Mal et du Gorgol on s'orienta vers le Tagant. A juste titre, le Secrétaire Général chargé des pays maures écrivait. « Notre domination est réellement effectuée au Brakna et au Trarza et espère pouvoir l'affermir dans le Tagant avec le concours de la partie de la population qui en cette circonstance ne nous ont pas fait défaut (les marabouts ont été nos guides)... »(1).

L'occupation du Tagant et de l'Adrar visait à déloger les résistants qui y avaient trouver refuge et rendaient la vie difficile aux français et à leurs collaborateurs. Le lieutenant colonel commissaire du gouvernement en Mauritanie devait constater que «cette situation fâcheuse ne s'améliorera que quand, dans quelques jours, nous aurons à notre disposition un corps de Goumiers, nombreux, constituant une véritable force mobile, qui chassera et atteindra dans les points où ils se croient actuellement insaisissables ces guerriers dissidents qui portent aujourd'hui un certain trouble dans nos possessions mauritaniennes»(2).

En février 1905, les troupes coloniales entrèrent au Tagant commandée par FRERREJEAN le lieutenant AUBERT, le Capitaine Payn et l'interprète REEYNIER faisaient parties de la mission d'organisation du Tagant, ils devaient assurer les fonctions politico- administratives Cette mission n'avait rien de pacifique. Il s'agissait d'une colonne de conquête encadrée par des officiers européens, des baroudeurs ayant déjà «cassé du nomade» au Tchad, au Soudan et en Algérie (3). Le 1er avril 1905 une

publique n'est apparue qu'au début du siècle dernier, la Mahadra développe son système éducatif selon des mécanismes fondés sur la mobilité et le recours à la mémoire.

Ce système originel séculaire faisait de la Mahadra l'un des piliers essentiels sur lesquels sont fondée l'entente, la cohésion et l'unité nationale.

La Mahadra constituait, aussi, une institution qui remplit des fonctions sociales, culturelles et pédagogiques, qui a fourni à l'administration de l'indépendance de nombreux cadres et fonctionnaires etc...).

En raison de l'afflux massif des dernières générations à l'école publique, la Mahadra a su conserver son statut d'ultime recours d'un public important en quête de savoir, d'éducation de base et d'alphabétisation.

La première remarque positive sur le colloque national sur la Mahadra mauritanienne est qu'il a réuni à la fois les Cheikhs et les Ulemas des Mahadras et des chercheurs et enseignants universitaires de haut niveau. Et ceci, en vue de créer une interaction entre le monde soit disant «traditionnel» de la Mahadra et celui «moderne» de l'école publique, pour ouvrir un débat national sur la situation actuelle de la Mahadra et les perspectives de modernisation et de valorisation de sa mission éducative.

Puisque, les débats ont conduit à ce que la Mahadra demeure aujourd'hui un moyen efficace de diversification des sources d'accès au savoir, d'accès à l'éducation de base et à l'alphabétisation, plusieurs recommandations ont été adoptées en vue de moderniser et sauvegarder la mission éducative de la Mahadra.

1- Comment sauvegarder et développer la mission éducative de la Mahadra ?

Le colloque a permis de mettre l'accent sur la complémentarité de l'enseignement public et de l'enseignement traditionnel, la conservation et le développement de cette complémentarité, reste très utile.

Cependant, il est impératif de restructurer les Mahadras, dans le souci de mieux contrôler le niveau et la qualité de l'enseignement dispensé par la Mahadra. Ceci est possible grâce à :

- l'amélioration des conditions matérielles, financières et pédagogiques des Mahadra qui sont déplorables parfois .

- la mise en place d'un système de qualification des Mahadras qui pourrait conduire à des soutiens financières et pédagogiques.
- Les normes et règles d'encadrement et d'évaluation du système éducatif traditionnel doivent aussi être amélioré.
- Il faudrait ainsi mettre des Mahadras pilotes au niveau des différentes wilayas du pays, conjointement avec l'organisation des séminaires régionaux de formation initiale et continue regroupant des enseignants de l'école publique et des enseignants de Mahadras.

D'autres mesures seraient complémentaires, les participants au colloque en ont cité :

- Améliorer les méthodes pédagogiques et le recours à des nouveaux matériels didactiques, manuels, tableaux noirs, ordinateurs, etc.
- Capitaliser et valoriser les différents produits et services des Mahadras.
- La création d'un régime de passerelle entre l'école moderne et la Mahadra.

2- Comment sauvegarder et valoriser la mission culturelle de la Mahadra ?

La Mahadra n'a pas seulement une mission éducative, elle fût le lieu de production et de rayonnement civilisationnel et de préservation du patrimoine culturel.

Dans ce cadre les participants au colloque national sur la Mahadra mauritanienne ont adopté les mesures suivantes afin de développer la mission culturelle de la Mahadra et ceci grâce à la sauvegarde et à la valorisation de l'aspect culturel originel des Mahadras.

L'aspect culturel est fondé sur les valeurs et les normes de l'environnement nomade. Ces valeurs qui ont toujours défini l'authenticité et la singularité de cette institution qui s'est développée en tant qu'école d'avant garde pédagogique par le biais de :

- l'autonomie de l'apprenant : car c'est lui qui choisit ses programmes et c'est lui qui s'auto-évalue,
- la démocratie de l'enseignement : l'accès à la Mahadra est libre pour les filles et pour les garçons et ne demande ni sélection, ni inscription.

Le Président de la République reçoit le Bouclier d'Or de l'ALECSO

Le Directeur général de l'ALECSO (Organisation arabe pour l'Education, la Culture et les Sciences), M. El-Mounji Bousneina a offert au Président Maaouya Ould Sid'Ahmed Taya du Bouclier d'Or de l'ALECSO, plus haute distinction honorifique de cette Organisation arabe.

Cette distinction récompense les efforts inlassables menés par Monsieur le Président Maaouya Ould Sid'Ahmed Taya en faveur de la lutte contre l'ignorance et pour le développement culturel et scientifique de son peuple.

Le colloque national sur la Máhadra mauritanienne

Sauvegarder, valoriser et moderniser la mission historique de l'école traditionnelle

Yacoub Ould El Ghassem

Université de Nouakchott

Introduction

L'élaboration et la mise en ouvre d'une stratégie nationale de sauvegarde et de valorisation du patrimoine culturel mauritanien représente l'un des objectifs du «Projet Sauvegarde et Valorisation du Patrimoine Culturel Mauritanien» PSVPCM.

L'aspect culturel original que représente la «Mahadra mauritanienne», est l'un des aspects que le projet à très vite senti la nécessité impérieuse de sauvegarder et de valoriser.

C'est ainsi que lors des travaux du «colloque national sur la Mahadra mauritanienne » qui ont lieu au centre international des conférences de Nouakchott au mois de février, plusieurs recommandations visant à conserver et moderniser la mission culturelle de la Mahadra ont été adoptées, et ce après avoir largement étudié le passé, la situation actuelle et les perspectives d'avenir de cette institution à laquelle nous devons aujourd'hui la production, la diffusion de la culture et la préservation du patrimoine culturel.

Quelles sont donc les principales leçons en matière de sauvegarde et de valorisation du patrimoine culturel que nous pouvons tirer des travaux de ce colloque?.

La Mahadra et sa mission : l'objet du colloque :

Si les Mahadra ont fait la fierté, la grandeur et la renommée de notre pays, c'est parce qu'elles ont dûment rempli leur rôle durant plus de 9 siècles (du 11ème au 20ème siècle de l'ère chrétienne).

Ce rôle fût celui de la production, de la diffusion du rayonnement de la culture arabo-islamique à travers le monde entier et surtout dans le continent africain. Puisque l'école

Editorial

La Mauritanie s'est résolument engagée dans la voie de la modernité. Désormais, Internet, Nouvelles Technologies, 3è millénaire, sont les maître-mots de tout le langage politique. Mais rentrer de plain-pied dans le nouveau siècle, c'est d'abord éliminer en nous les tares de l'arriération et celles-ci se résument en un mot : ignorance. C'est pourquoi une énorme campagne est lancée pour stimuler la recherche du savoir, et encourager à l'apprentissage des techniques modernes. L'Etat a surtout entrepris la création d'un «fonds du livre» doté d'un financement appréciable (1,3 milliards d'ouguiyas) et destiné à permettre à tous les mauritaniens de pouvoir disposer du sésame de toute connaissance : le livre.

Tous ces efforts vont dans le droit-fil des principes fondateurs de l'UNESCO, de l'ALESCO, de l'ISESCO, de l'AIF, tous ces organismes internationaux qui sont pour nous des partenaires privilégiés et dont l'essentiel de l'action est tourné vers la Culture, la Connaissance, l'Homme.

Il n'est donc pas étonnant que l'ALESCO ait offert au Président de la République, Monsieur Maaouya Ould Sid'Ahmed Taya, sa plus haute distinction, (le Bouclier d'Or) comme récompense de l'action qu'il mène en faveur de la science et du savoir.

Il nous paraît donc évident, nous à la commission Nationale pour l'Education, la Science et la Culture, que nous nous devons d'être à l'avant-garde du combat mené contre l'ignorance. C'est pourquoi nous n'épargnerons aucun effort pour participer, au premier rang, à la bataille menée pour le savoir et la maîtrise des technologies.

Ely Ould Bouboutt

Al Mawqib Al Thaqafi

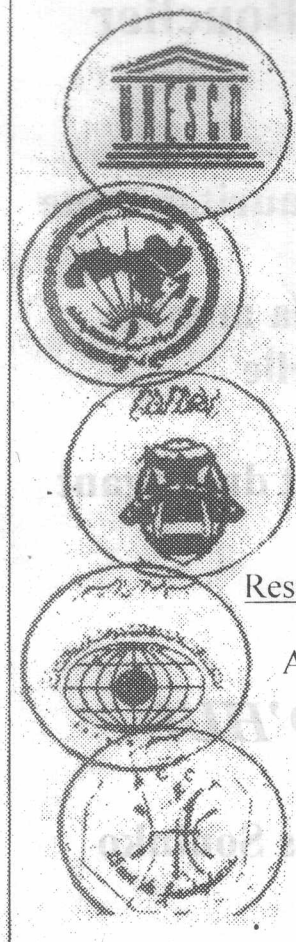

Responsable de la publication
Ely Ould Boubout

Rédacteur en Chef
Mohamed Lemine Ould Mounir

Directeur Technique :
Mohamedou Ould H'Dhana

Directeur Délégué
(édition française)
M'Bareck Ould Beyrouck
Assisté de : Ahmed Ould Cheikh

Service suivi et abonnements :
Responsable : Souleymane Ould Bouna Moctar
Assisté de : Mohamed Ould Amar Abal
Abderrahmane Ould Mohamed El Hafedh

Ont collaboré à ce numéro :
M'Bareck Ould Beyrouck
Racine Oumar N'Diaye
Madame Coulibaly Keïta Sirandou
Mohamed Said Ould Hamady
Mohamed Lemine Ould El Kattab
Yacoub Ould El Ghassem
Idoumou Ould Mohamed Lemine
Mohamed Ould Mekhallé

Saisie et maquette : CNESC

Impression : IMPRIMERIE NATIONALE

SOMMAIRE

Le Président de la République, Bouclier d'Or de l'ALESCO

Le colloque national sur la Mahadra mauritanienne

Sauvegarder, valoriser et moderniser la mission historique de l'école traditionnelle

Instructions politiques pour le Résident du Tagant du 5 août 1905

OUADANE ENTRE HIER ET AUJOURD'HUI

Mythe de fondation et de dispersion des Soninko

Les prémices de la philosophie des droits de l'homme dans la pensée grecque

La Francophonie : Ses enjeux ailleurs et ici

Les traces

REVUE CULTURELLE, EDITEE PAR LA Commission Nationale Mauritanienne pour l'Education, la Science et la Culture N° 28-29
2001 – Prix : 200 UM

Al Mawkib Al thaqafi

Les guerres prenant naissance dans l'esprit des hommes, c'est dans l'esprit des hommes que doivent s'élever les défenses de la paix

Directeur de la Publication : Ely Ould Bouboutt

Le Président de la République, Bouclier d'Or de l'ALESCO

OUADANE ENTRE HIER ET AUJOURD'HUI

Mythe de fondation et de dispersion des Soninko

La Francophonie : Ses enjeux ailleurs et ici